السنة الاولى　　العدد ٩　　١ أيار سنة ١٨٩٨

المشرق

العلاج بالنور

مقالة عرَّبها الدكتور فيلب افندي بركات

تذكرني مقالة التنوير للاب موريس كولنجت (المشرق ص ١٧٩ و ٢٤١) بمقالة اخرى طبيَّة نُشرت حديثًا في احدى جرائد الفرنسيس عن العلاج بالنور (La Photo - thérapie) فاحببت نقلها لكم عساها تكون ذيلًا مفيدًا للقرّاء لانَّ فيها من المنافع الصحيَّة ما يستر عنها شطط الناقل في النقل فاقول:

ان المداواة بالنور ليست من الاكتشافات الحديثة لانَّ العلم والتقليدات ابانت لنا ان النور كالهواء والطعام من الشروط التي لا بُدَّ منها للحيوة. وقد كتب پلين (Pline) منذ الفي سنة ان الشمس اعظم علاج للانسان والمثل الطلياني يقول: حيث لا تدخلُ الشمس والهواء يدخل الطبيب وكل ما في الطبيعة يحب الشمس من حيوان ونبات وجماد. ألا ترى انَّ النبات المسمى دوّار الشمس يتبع الشمس في دورانها فينظر دائمًا لنورها الساطع كانهُ عابد لها. وكلٌّ منا يعرف ان كثيرًا من النبات لا يعيش في الظلّ اللهمَّ الَّا شيئة العجوز وقليل من انواع الفطر. واللون الاخضر الذي نراهُ في النبات المسمّى الخضوب (chloro-phylle) هو علامة صحته. ولذلك لا نشاهدهُ فيهِ ان دام في الظلّ

والنبات يذبل وشكله يتغيّر ويفسد حتى وطعمه يبقى تفهًا ان لم تنظر اليهِ الشمس كما يشهد لنا بذلك جميع البستانيين

وهذه الحالة مقرّرة ثابتة في عالم النبات معروفة حقيقتها في عالم الجماد وكلاهما يتأثر لفواعل اسبابُها في قوة النور. انما تتَّضح غاية الاتّضاح في عالم الحيوان. وقد شاهد احد العلماء سنة ١٨٧٠ ان بيض الضفدع يتنبَّض في النور وقد رأى غيرهُ ان البيض المذكور لا

يتنوّى في الظلّ لا بل يضعف ويموت اذا حُرم منهُ . والك ان تختبر بنفسك ما نقول فاملأ إناءين ماء صافياً وضع احدها في الشمس والآخر في الظل تجد في الاناء الاول نقاعيات وفي الثاني لا ترى لحيوينات من أثر

اما اذا نظرنا الى فعل النور بالانسان نرى نتائجه فيهِ حسنة لان الانسان المحروم من منافع النور لا لون لهُ . يكون جلده اقهب واعضاؤُه رخوة منتفخة لا قوام لها ولا قوَّة وهو معتلّ الحالة ضعيف البنية

وانظر لاكثر سكان المدن الكبيرة ومن عاش في الظلّ مثل النملة الذين يشتغلون تحت الارض والمسجونين والنسّاك وبعض سُكان الانحاء القطبية ألا تراهم مشوّهين مهزولين لحرمانهم من منافع النور ؟

وقد ثبت عند الاطباء ان اسباب امراض المصابين بالغدَّة العنقيَّة هي معيشتهم في الظل الدائم ضمن اودية تكتنفها جبال شاهقة

ولله درّ ابناء البادية ما احسن صحتهم واقوى ابدانهم واوسع صدورهم واجمل لون اجسامهم وهم الذين يعيشون تحت القبَّة الزرقاء والشمس في كبدها ترميهم بانوارها الساطعة الضياء . وقد لحظ بعض الطبيعيين ذوي النظر المدقق ان الجلد اذا تعرَّض لاشعَّة الشمس يصير سميكاً خشناً ذا لون اسمر ولذلك نرى في البشر اشكالاً منهم الابيض والاصفر والاسود

وقد بحث علماء هذا العصر بحثاً خصوصياً في منافع النور فوجدوا فيهِ علاجاً صحياً مفيداً ومغيّراً احوال الحياة . وقد قال احدهم في اوائل هذا القرن ان النور اذا اصاب العيون أثَّر فعلهُ نوعاً في سائر الجسم . وقد قال غيره ان العين تجمع اشعَّة النور فتكتنزها ثم توزّعها على سائر الجسم تحت شكل اهتزازات متتابعة خصوصية . وقد ينسب للنور بعض الُطاس وهو الذي يهيّج الافراز الدمعي اكثر الاحيان . وانَّ لدينا برهاناً ثانياً يؤيد منافع نور الشمس في التغذية الجلدية بواسطة الجهاز العصبي وهو ان التغييرات التي تطرأ على الجلد حين استئصال العينين تشبه التغييرات التي تحصل فيهِ حين يمكث الانسان في محلّ مظلم مدة طويلة

ولم يكتف العلماء بهذا بل وضعوا قياساً لمفاعيل الشمس في الجسم البشري فوجدوا ان في الظلّ ينفق الانسان من الاوكسجين كميَّة اقل من التي ينفقها في الشمس . وافادوا ان النور يزيد في افراز الحامض الكربوني والظلام ينقص من كميته . وقد علَّموا ايضاً ان حرارة

الجسم تهبط من عُشر الى خمسة اعشار الدرجة وان الافراز البولي ينقص في الاولاد المحبوسين في امكنة مظلمة. وقد ابان اخيرًا احد اساتذة الطب ان ألياف العضَلات تهتز رأساً من فعل النور ولتحقيق زعمهِ اخذ احدى العضلات المسمَّات الخيَّاط وربط احد طرفيها بسند ثابت والطرف الآخر في منتصف غشاء رقّ غزال مشدود على قمع صغير في اسفله انبوب كاوتشوك. ووضع العضلة في مجتمع عدسة تنيرها الشمس ووضع لحجز اشعَّة الشمس دولابًا غير شفَّاف فيهِ ثقوب بعيدة عن بعضها ابتعادًا منتظماً ودوَّر الدولاب فانعكست اشعة الشمس متقطِّعة ثم وضع أُذنهُ في آخر انبوب الكاوتشوك فسمع صوتاً زاد ارتفاعه كلَّما زاد عدد التقطيع في الاشعة

واني استميح عفوًا من سادتي القرّاء لاطالتي في شرح ما ذكر من المنافع التي يجود النور علينا بها انما في الاطالة افادة والموضوع مهمّ ولا سبيل لي للوصول للغاية المقصودة الّا في بيان حال النور كما هي. وللنُّور منافع في الامراض الجلديَّة سواء كان في التغذية العامَّة او الجلديَّة او في قتل المكروب خصوصاً المسبِّب لاعظم الامراض كما اظهر لنا ذلك الطبُّ الحديث فاقول:

انّ باستور وغيره من علماء العصر علّمونا انّ اكثر المكروبات الموجودة في الهواء غير قابلة للتوليد. والسرّ في ذلك فعل النور لانَّا اذا وضعنا في الشمس سوائل محتوية مكروبات نراها تموت اذا عرضناها مدَّةً طويلة لفعل الشمس. امَّا السوائل التي تبقى في الظل فتعيش مكروباتها طويلًا وتزيد نموًّا

والعالِم أرلوان قرَّر ان الطيف الشمسي يُضعف مكروب الجمرة وامَّا نور الغاز فيؤخر توليد البذور المذكورة بعد زرعها لكنهُ لا ينقص في قوتها. وافاد العالم رُو الفرنسي ان البذور المذكورة تدبُّ فيها حيوة جديدة بالشمس دون الهواء. وخصوصاً الباشلس الملوِّن للصديد فانهُ يبقى معرّضاً لاشعَّة الشمس اكثر من ٢٤٠ دقيقة ولا تُفقد فيهِ قوّة تلوين الصديد مع كونها خاصّية زائلة ولا يموت في النور المنتشر الّا بعد ثلاثة أيام من شهر أيّار وحزيران وان وظيفة النور هذا تبني للعلم اساساً رأس قاعدتهِ منافع الشمس التي يعرفها كلّ الناس

واذا ما وجّهنا ابحاثنا في تلك المنافع نحو معالجة الانسان وجدنا لهُ فيها ادوية لامراضهِ. فاذا أُصيب بالتهابٍ سطحيّ جلديّ سببتهُ الشمس منعنا الشمس عنهُ وان رأينا فيهِ فقرًا

دمويًّا وجدنا لهُ من انجع العلاجات تعرُّضهُ للشمس وان كان مصابًا بداء سببهُ الكروب فالأمهُ ان الشمس احسن دواء لقتل الكروب

وما تولك يا صاح لو درسنا فعل النور درسًا خصوصيًّا وفصلنا بين منافع اشعَّة الشمس الكيموية واشعتها الحارَّة فان احد المبتلين بداء اللوبوس (Lupus) شُفي بحرارة الشمس بعد مدَّة ايام قليلة وذلك انهُ عُرضت الاجزاء المصابة بالداء المذكور والصحيحة منها للشمس ولم يعُد يرى اثرًا حتى لباشلّوس الداء. الآنف الذكر. اما كيفية العمل بالتفصيل فهي ان تأخذ عدسات قطرها ٢٠ او ٣٠ سنتيمترًا وتجمع العليف الشمسي على مكان الداء. ولئلَّا يحترق دع الاشعة الشمسية تمرّ قبل ذلك في سائل من ازرق الميثلين (Bleu de méthylène) لان السائل المذكور يحفظ الاشعة الكيموية فقط ويمنع احتراق وموت العضو المصوبة عليهِ الشمس ولا يدع اثرًا عليهِ مطلقًا لان الاشعة الكيمية تفعل قليلًا في الجلد الصحيح

والعلاج بالنور يفيد ليس فقط الامراض الجلدية انما يتناول ايضًا داخل الانسجة خصوصًا الشفَّافة منها فيشفي بعض الامراض الداخلية. لكن وجود الدم في تلك الانسجة لا يجعلها شفافة إلَّا إزاء الاشعة الحمراء والاشعة الكيمية لا تتمكَّن من خرقها. ولذلك وجب علينا كي نحصل على نتيجة حسنة اخراج الدم من القسم الذي نطلب معالجتهُ بواسطة جهاز إسمارك (Esmark) وعصب الاطراف بهِ او بالضغط طول وقت العمل على سائر الجسم حتى نطرد الدم ما امكن من الجزء المارّ بالداء

وقد وجد احد العلماء ان النور الشمسي يفضَّل على غيره من حيث فعلهِ بالمعالجة لكثرة ما فيهِ من الاشعة الكيمية. انما في الاختبارات اليومية يصعب على الطبيب استعمال الشمس لانها لا تشرق كل يوم اشراقًا ساطعًا فيُقتضى عليهِ استعمال آلة خاصة وُضعت لذلك ينقلها كل دقيقتين ليتبع حركة الشمس

وقد عدل بعض الاطباء عن استعمال النور الشمسي وعمدوا الى القناديل الكهربائية التي توازي قوتها ٩ آلاف شمعة. ولمَّا لم يُضاء نورها نور الشمس استعملوا مجاري كهربائية دي شو (Decháux) فكانت ايضًا اقلّ قوة من الفحم بسبب امتصاص العدسات الزجاجية للاشعة التي وراء البنفسجية. ولذلك قصد غيره من العلماء استعمال عدسات من الكوارتز (Quartz) حتى يمتحن بها مجاري كهربائية من معدن الكادميوم لان طيفها

يحتوي كثيرًا من الاشعة الكيمية وعدسات هذا المدن اصغر من الزجاجية انما لا تمتص الاشعة التي وراء البنفسجية

اما استعمال الكهربائية بدلًا من الشمس فذلك استنباط اميركي الاصل وقد عوّلوا عليه لمنافعه في إحياء المزدرعات ونموها وترى اليوم في فيلادلفية دارًا خصوصية لإنارة النبات بالكهربائية بدلًا من الشمس

وقد عالج الاطباء بالنور الكهربائي الامراض العصبية وداء المفاصل المزمن وقد توصّلوا لمعرفة ذلك لانَّ احدهم كان طبيبًا لاحد المعامل الصناعية فوجد انَّهُ منذ استعمال القوس الكهربائي لفحم الحديد نقصت الامراض العصبية وعلل المفاصل في فَعَلة ذلك المعمل

وقد استنبط احد أطباء روسية آلة كهربائية لمعالجة مرض المفاصل وعرق النَّسا واوجاع الظهر والوجه ومؤخر الرأس فاصاب في جميعها النجاح

ويعالج طبيب آخر روسي النزيف الدموي الذي يحصل للنساء بوصفه لهنَّ الاستحمامات الشمسية

وفي سويسرة وفيلادلفية محلات فتشيس يصبُّ اصحابها على المرضى اشعة الشمس كما يصب في بلادنا الماء الحار في الحمامات وكما يوجد في باريز وغيرها حمامات كهربائية وكبريتية ونخالية ووحلية الخ

والغاية القصوى التي يروم الاطباء الوصول اليها معرفة منافع المداواة بالوان النور لانا ذكرنا في بدء المقالة ان اشعة الشمس الحارة نالت نصيبًا من النجاح في علاج اللوبوس. اما الاشعة النيرة تُفضَّل على الحارة منها كما يعرف ذلك الفلاح لانهُ يتمتع حسًّا ان النبات يزدهي في الليالي المقمرة

وقد افاد طبيب جرماني ان الاشعة الزرقا البنفسجية تؤخر ولادة المكروب وتميق نموّه. وقد امات الطبيب المذكور بواسطتها اقوى الباشلس بدقيقة واحدة

وانا نرى لفعل لون النور بوظائف الاعضاء حقائق منها ان النور البنفسجي والازرق يسهل نمو بيض الذباب والاشعة الصفراء تحرّك وظيفة التنفس في الحيوانات. وقد شاهد خبير ان الحيوانات النازلة في آخورات زجاجُ منافذها بنفسجيٌّ تسمن وتزيد ثقلًا بخلاف الحيوانات التي تعيش في آخورات لنوافذها زجاج ابيض

وقد عالج الاطباء الجُدَري بمنع الطيف الشمسي عن الجدور لانهم وجدوا اشعة

الشمس الكيمية تهيّج الجلد الصحيح وتضرّ كثيرًا في المريض. وكثيرًا ما كانت الحمّى لا تصيب المجدورين بأذى بل ولا يظهر الصديد في البثور ولذلك يرخون الطنافس على نوافذ مخدع المجدور ويصنعون عوضًا عن الزجاج الابيض زجاجًا احمر او يلصقون على الزجاج الابيض ورقًا احمر. ويشعلون في الليل قنديلًا زجاجهُ احمر او اصفر. فرأوا نتيجة العلاج حسنة جدًّا بنوع انها لم تدع اثرًا لجدري مطلقًا

ولا بدّ في الختام ان اذكر حادثة جرت سنة ١٨٧٧ وهي انهُ قد اخبر احد اصحاب الجرائد الغربية انهُ يوجد في باريس مشعوذ يدّعي ان اشعة الشمس التي تمرّ في زجاج ازرق دواء ناجع في كثير من الامراض

وبعد عشرين سنة من ذلك التاريخ قدّم العلماء (لا المشعوذون) تقريرات لمجامع العلمية الطبية ان دواء بعض الامراض هو النور الشمسي مارًّا في انبوب ملوّن بسائل ازرق. فما قولك يا صاح بعد هذا غير تكرار المثل القائل : لا شيء جديد تحت الشمس

سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

للبطريرك اسطفان الدويهي

عني بنشرها المعلم رشيد الخوري الشرتوني

(تابع لما سبق)

وفي السابع والعشرين منهُ جلس مكانهُ جرجس بن ميخائيل بن عميرة الاهدني وقبل التثبيت ودرع الرئاسة من طرف البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٣٥ مع الخوري ميخائيل بن سعادة الحصروني ودام على الكرسي عشر سنوات وسبعة اشهر ويومين. ثم انهُ في السنة ٤٤ في ٢٩ تمز خلف الكرسي الى الاسقف يوسف بن بطرس بن حليب العاقوري الذي تولّى البطركية في ١٥ آب. وفي السنة التابعة أرسل القس عبد المسيح بن الياس الحدثي يطلب التثبيت وفي الثالثة أتاهُ درع التثبيت من قبل البابا زخيا العاشر فجلس على الكرسي

اربع سنين وشهرين و١٩ يوماً. ثم انهُ في سنة ١٦٤٨ قضى اجلهُ في الثالث من تشرين الثاني ودُفن في قريته

وفي النهار التاسع وقع الاختيار على المطران يوحنّا من بيت البوّاب من الصفراء في فتوح جبيل فارسل القس ميخائيل بن صبونة الحصروني الى رومية لاجل تأدية الطاعة الى البابا زخيا. وفي السنة الثانية رجع بمكاتيب التثبيت ودرع الرئاسة. واقام في رئاسة الكرسي الانطاكي ثمان سنوات وشهراً وأحد عشر يوماً وفي ٢٣ من كانون الاول سنة ١٦٥٦ انتقل من الحياة الزائلة الى تلك التي لا زوال لها

وفي النهار التاسع من اول يوم من كانون الثاني سنة ١٦٥٧ عقبهُ البطرك جرجس بن الحاج رزق الله من سبعل في زاوية طرابلس. وفي السنة الثالثة أرسل لهُ درع الرئاسة من قبل البابا اسكندر الثامن. ودام على الكرسي ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوماً. وفي الثاني عشر من نيسان سنة ١٦٧٠ قضى أجلهُ في دير مار شليطا مقبس في ناحية كسروان وهناك دُفن. وبسبب ان الواغش (الوباء) كان ثقيلاً في تلك السنة ما صار اجتماع الى النهار الاربعين للمرحوم فنيه التأم رؤساء الكهنة واعيان الناحية في تنوين وحكموا باقامة البطرك الجديد فوقع الاختيار على المطران اسطفان بن ميخائيل ابن القس موسى الاهدني من عائلة الدويهية فأرسل القس يوسف الحصروني الى رومية. وفي الثامن من آب سنة ١٦٧٢ تسلّم درع الرئاسة ومكاتيب التثبيت من البابا اقليمنضوس العاشر(١

واقام هذا البطريرك مدرسةً في دير تنوين لتعليم اولاد الطائفة المارونية كل العلوم مجاناً واستمرت هذه المدرسة في مدة وجوده. وفي زمانه سنة ١٦٩٠ تأسست جمعية رهبان مار انطونيوس اللبنانيين في دير القديسة مورت مورا في ارض اهدن بموجب قوانين اثبتها هو اوّلًا ثمّ أيدها الكرسي الرسولي المقدّس باثباته لها ثانياً سنة ١٧٣٢ ثم رقد بالرب في ٣ ايار سنة ١٧٠٤ (٢

---

١) الى هنا سلسلة البطاركة المارونيين التي وضعها البطريرك الدويهي منياً ايّاها بذكر اسمه. اماً ما يلي فهو مأخوذ عن تواريخ الطيب الأثر البطريرك بولس مسعد

٢) وقد بسط الكلام على اعماله ومفاخره في مقدّمة تاريخ الطائفة المارونية ص ١٠ — ٢٧ وفي مقدمة منارة الاقداس

وخلفهُ الاسقف جبرائيل البلوزاني وفي السنة المذكورة ورده التثبيت من البابا اكليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الاب الياس الكرملي ومات في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥ . وهو الذي أنشأ دير سيدة طاميش جنوبي نهر الكلب سنة ١٦٧٣ واسس رهبانية مار اشعيا للموارنة سنة ١٧٠٠ في دير مار اشعيا الذي كان قد أنشأهُ وهو مطران في ارض برمانا من مزارع كسروان بموجب قوانين اثبتها البطريرك اسطفان السابق ذكره ثم ايدها الكرسي الرسولي باثباته لها ثانياً سنة ١٧٤٠

وخلفهُ الاسقف يعقوب عوَّاد الحصروني وتثبَّت من البابا اقليمنضوس الحادي عشر على يد قاصده الاب فرديناندس الكرملي سنة ١٧٠٦ وقد اوسعه حُسَّاده اضطهادات جمة حتى انزلوهُ ظلماً وعدواناً عن بطريركيته سنة ١٧١٠ واقاموا عوضه خلافاً لكل ناموس الاسقف يوسف مبارك الغوسطاوي . ولما عُرضت المسألة الى الكرسي الرسولي وفحص الدعوى حكم بتبرير البطريرك يعقوب وارجاعه الى بطريركيته فرجع اليها سنة ١٧١٣ كما يتأكد ذلك من رسالة البابا اكليمنضوس الحادي عشر الموجهة الى الموارنة في ٣٠ حزيران سنة ١٧١٣ بهذا الشأن

وفي زمانه اي سنة ١٧٠٧ انعم البابا اكليمنضوس الحادي عشر على القس جبرائيل حوَّا الحلبي الماروني (وهو الذي سامهُ البطريرك يعقوب عوَّاد اسقفاً على قبرس سنة ١٧٢٣ ومات في رومية سنة ١٧٥٢) من رهبان دير ماري انطونيوس الموارنة اللبنانيين بانطوش في رومية على اسم القديسين بطرس ومرشلين فصيَّروهُ ديراً ومدرسةً سنة ١٧٢٥ بموجب قوانين اثبتها البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ١٤ تموز سنة ١٧٣٢ . ثم بيع سنة ١٧٥٣ بامر البابا بنادكتوس الرابع عشر وشري عوضه محل آخر في رومية حذاء ماري بطرس في السلاسل لجماوه ديراً ومدرسةً كالسابق على اسم ماري انطونيوس أبي الرهبان . ثم قضى هذا البطريرك نحبه في ٩ شباط سنة ١٧٣٣

وخلفهُ يوسف ضرغام الخازن الرابع بهذا الاسم وكان مطراناً على غوسطا وقد ترقى الى البطريركية في ٢٤ شباط سنة ١٧٣٣ وتثبَّت من البابا اكليمنضوس الثاني عشر سنة ١٧٣٤ على يد قاصده القس عبدالله ابن الحاج عون من عجلتون . وفي زمانه التأم المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ . وفي زمانه ايضاً . . . . . دوَّن الاب فرنسيس رتس الرئيس العام على الرهبان اليسوعيين حجتين احداهما بتاريخ ٢٧ شباط سنة ١٧٣٤ والاخرى بتاريخ ١٠ تشرين

الثاني سنة ١٧٣٥ بهما يوضح كيفية تسليم الموارنة لرهبانيته تدبير مدرسة عينطورا كسروان ومدرسة زغورتا في زاوية طرابلس وكيفية ترجيعهما الى الموارنة عند الاقتضاء . وقد كان الرهبان اليسوعية اتخذوا السكنى في عينطورا سنة ١٦٥٢ في المحل الذي اعطاهم اياه الشيخ ابو نوفل نادر الخازن وهو دير مار يوسف (١

وسنة ١٦٥٩ تسلّم الشيخ ابو نوفل الخازن قنصلية فرنسة في بيروت بواسطة المطران اسحق الشدراوي ومات سنة ١٦٧٩ . ومثله ابنهُ الشيخ ابو قانصوه فياض الذي توفي سنة ١٦٩١ وخلفهُ فيها ابنهُ الشيخ حصن سنة ١٦٩٧ . ومات ١٧٠٨ . وفيها خلفهُ ابنهُ الشيخ نوفل في هذه القنصلية ومات سنة ١٧٥٣

ثم توفي هذا البطريرك في ١٣ ايار سنة ١٧٤٢ ودفن في كنيسة مار الياس في غوسطا

وخلفهُ سمعان عوّاد الخامس بهذا الاسم مطران دمشق الشام في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ مُقاماً من البابا بنادكتوس الرابع عشر الذي ثبتهُ في ٣ تموز سنة ١٧٤٤ على يد وكيله المنسنيور يوسف سمعان السمعاني . ثم قضى نحبه في دير سيدة مشموشة حيث دُفن في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦

وخلفهُ طوبيا الخازن مطران قبرس في ٢٨ شباط سنة ١٧٥٦ وهو الاول بهذا الاسم وقد ثبّتهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر في ٢٧ اذار سنة ١٧٥٧ على يد قاصده المطران ارسانيوس عبد الاحد الحلبي مطران بعلبك . وقضى أجله في ١٩ ايار سنة ١٧٦٦ في عجلتون ودُفن في كنيستها المعروفة بكنيسة السيدة

وخلفهُ يوسف اسطفان مطران بيروت في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦ وهو الخامس بهذا الاسم وقد تثبّت من البابا اكليمنضوس الثالث عشر في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧ على يد قاصده الاب عبد الاحد انطونيوس دي لوكا من رهبان مار فرنسيس . وفي زمانه سنة ١٧٧٠ اثبت البابا اكليمنضوس الرابع عشر قسمة الرهبانية اللبنانية الى حلبيّة وجبليّة او بلدية بحسب الاتفاق الذي كان جرى بين الفريقين في دير حريصا في كسروان سنة ١٧٦٨

---

١) اثبت الاباء اليسوعيون في مجموعتهم التاريخية (Lettres Édifiantes) المطبوعة في باريس سنة ١٧٠٨ خبر سكناهم في هذا المحل واصفين الشيخ ابا نوفل باحسن الاوصاف من حيث الديانة والهمة والذكاء . وقد دونت ذلك في الصفحة ٢٢٢ من تاريخ الطائفة المارونية فليطلب بالمراجعة

بحضور هذا البطريرك وقرا الياس من بسيطا رئيس اديار القدس وحافظ الاراضي المقدسة عن امر الكرسي الرسولي. وارسل هذا البطريرك الخوري انطون القيالة البيروتي الى باريس لطلب قنصلية فرنسة في بيروت للشيخ غندور سعد الخوري صالح وقد حازها الشيخ غندور بواسطته سنة ١٧٨٧ من الملك لويس السادس عشر... ومات الشيخ غندور مقتولًا في عكاء من أحمد باشا الجزار سنة ١٧٩١. وفي زمانه ايضًا تحوّل دير مار انطونيوس عين ورقة الكائن في كسروان مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٧٨٩. ثم رقد هذا البطريرك بسلام في ٢٢ نيسان سنة ١٧٩٣ في الدير المعروف بدير مار يوسف الحصن في غوسطا (الذي شُيّدت كنيسته من إحسان الملك لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٩) وفيه دُفن (١

وخلفهُ ميخائيل فاضل مطران بيروت في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣ وهو الثاني بهذا الاسم. وقد ارسل الخوري جرجس غانم البيروتي الى رومية ليستمد لهُ التثبيت فلم يبلغها الّا بعد وفاة هذا البطريرك التي كانت في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥ في دير مار يوحنا حراش وهناك دُفن. لكن البابا بيوس السادس أدرجه في عدد بطاركة الموارنة الانطاكيين بقوله في الديوان المنعقد في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦ « فاذ لم تسمح لنا حوادث الزمان بان نهبهُ التوطيد والتثبيت وهو حيّ فنهبهُ اياهُ وهو ميت ونريد اذًا أن يعدّ ويُحصى في سلسلة بطاركة الموارنة ولو اعاقهُ الموت عن قبوله زينة الدرع المقدس »

وخلفهُ فيلبوس الجميّل مطران قبرس في ١٢ حزيران سنة ١٧٩٥ وهو الاول بهذا الاسم وتثبّت من البابا بيوس السادس المذكور في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦ على يد قاصده القس ارسانيوس القرداحي الراهب الحلبي اللبناني وقبل ان يصله التثبيت عاجلهُ الموت في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦ في دير سيدة بكركي حيث دُفن

وخلفهُ يوسف التيّان مطران دمشق الشام قبلًا والنائب البطريركي في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦ وهو السادس بهذا الاسم. وقد تثبت من البابا بيوس السادس المذكور في ٢٤

---

١) كان الشيخ غندور محبًا لتنوير افكار طائفته وتهذيب وتعليم خدمة الدين منها كما يستفاد من كتاب انفذه الى البطريرك يوسف اسطفان يُلحّ فيهِ من اجل تحويل دير عين ورقة مدرسة عمومية لتعليم المترشحين للكهنوت ولولا ضيق المقام في هذه النبذة المختصرة لكنا نثبت الرسالة مع جواب البطريرك وجوابهِ على جواب البطريرك

تموز سنة ١٧٩٧ على يد قاصده القس لويس بليبل الراهب اللبناني (الذي صار فيما بعد مطرانًا على قبرس سنة ١٧٩٨) وتنازل عن البطريركية من تلقاء خاطره حبًّا بالعيشة المنفردة وتوفي في دير قنوبين حيث دُفن في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠

ولما قبل الكرسي الرسولي تنازلهُ سنة ١٨٠٩ قام عوضهُ يوحنا الحلو مطران عكا والنائب البطريركي في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩ وهو الثاني عشر بهذا الاسم. وعرض قيامهُ على الكرسي الرسولي ملتمسًا التثبيت على يد وكيله القس ارسانيوس قرداحي المذكور. ولما كان البابا بيوس السابع مبارحًا مدينة رومية بسبب الاضطهاد الذي عرض لهُ وهو ممسك في مدينة سائونة في بلاد جنوة اثبت انتخابهُ هناك في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠ مبقيًا الى زمن آخر الاحتفالات المعتادة مع تسليم الدرع المقدس وقد أمر رئيس المجمع المقدس ان يُعرّفهُ عن ذلك. ولما آب قداستهُ الى رومية سنة ١٨١٤ أنفذ اليه أعمال التثبيت ودرع الرئاسة في ١٩ كانون الاول من هذه السنة على يد وكيله المرقوم. وفي زمانه تحوّل دير مار يوحنا مارون كفرحي في بلاد البترون الى مدرسة خصوصية لابرشيّة جبيل والبترون سنة ١٨١٢ ودير مار مارون في كسروان في قرية الرومية مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨١٧ ثم توفي في ١٢ ايار سنة ١٨٢٣ في دير قنوبين حيث كان قد جعل سكناهُ منذ سنة ١٨١١ ودفن في حائط الكنيسة الشمالي

وخلفهُ يوسف حبيش مطران طرابلس في ٢٥ ايار سنة ١٨٢٣ وهو السابع بهذا الاسم وتثبت في ٣ ايار سنة ١٨٢٤ من البابا لاون الثاني عشر على يد وكيله القس باسيليوس دوروسن من رهبان الارمن الكريميين التابعين قوانين وفرائض رهبان مار انطونيوس اللبنانيين المارونة منذ تأسيس رهبانيتهم في اوائل الجيل الثامن عشر الى الآن. وقد سعى في تحويل دير مار عبدا هرهريا الكائن بين كسروان والفتوح مدرسة عمومية للطائفة المارونية سنة ١٨٣٠ وكذا فعل في دير سركيس وباخوس بقرية ريفون سنة ١٨٣٢. ثم جعل مدرسة المارونة التي في عينطورا كسروان محلاً للمرسلين اللبنانيين المارونة سنة ١٨٤٠ وتوفي البطريرك يوسف حبيش في الديمان في ٢٣ أيار سنة ١٨٤٥. ودفن في ضريح البطريرك يوحنا الحلو في كنيسة دير قنوبين

وخلفهُ يوسف الخازن مطران دمشق في ١٨ آب سنة ١٨٤٥ وهو الثامن بهذا الاسم وتثبت من البابا غريغوريوس السادس عشر في ١٩ كانون الثاني سنة ١٨٤٦ على يد وكيله

المطران نقولا مراد وقضى أجله في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ في الديمان ودُفن في الضريح المذكور

وخلفهُ بولس مسعد مطران طرسوس والنائب البطريركي في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ وهو الاول بهذا الاسم وتثبت من البابا بيوس التاسع في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ على يد وكيله القس امبروسيوس الدرعوني الحلبي اللبناني ..

(اقول) وقد استمرّ على الكرسي ستًا وثلاثين سنة . وكان من البارعين في الرسوم البيعية ولاسيما في الحق القانوني وفي التاريخ وخاصةً فيما يتعلق منهُ بتواريخ الطوائف الشرقية وقد رقد بالرب في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة

وفي ٢٩ نيسان من السنة نفسها خلفهُ في الكرسي البطريركي غبطة ابينا السيد السند مار يوحنا بطرس الحاج الكلي الشرف . فكان اول ما اهتم بهِ تجديد مدرستنا الرومانية رغبةً منهُ في ان يدخر لنا بعاصمة العالم الكاثوليكي مقامًا يأوي اليهِ شباننا التماسًا للعلوم الصحيحة والتهذيب الراهن . ثم جدد الكرسي البطريركي في بكركي على طرز حسن واشترى للطائفة معهدًا في القدس الشريف واتى غير ذلك من الاعمال الخطيرة . نسأل الله ان يطيل في ايامهِ . ويبلغهُ من كل خير غاية مرامه (١

ارتفاع ساحل البحر في بيروت

للاب غدفريد زُموفن مدرّس الطبيعيَّات في كليّة القديس يوسف

لا يُخفى انّ في باطن الارض مارجًا من النار شديد اللظى يقوى في بعض الاوقات على اديم كرَتنا الارضيَّة فينفجر بغتةً ويرفع بانفجارهِ البركانيّ سطحها . بيد انّ هذه الطوارئ قليلة نادرة الوقوع . ولكن لارضنا حركات اخر خفيفة تصدر فيها تباعًا ببطء وزمن طويل . وانّما نقف على ذلك بملاحظة ارتفاع الخطّ الساحليّ الحاجز بين البحر والبرّ

١) ان الخوري جرجس عسكر الحلبي الماروني ترجم سلسلة البطاركة هذه التي نظمها البطريرك اسطفان الدويهي الى اللاتيني وطبعت في باريس سنة ١٧٣٣ وقد نقلها لوكيان في كتابهِ الشرق المسيحي في معرض كلامه على بطاركة الموارنة

وليست سواحل سوريَّة بمعزل عن هذه الحركات· فانَّ علماء الجيولوجية يذهبون باتفاق الاصوات الى ان شواطئ سوريَّة وفلسطين ترتفع مع الزمان ارتفاعاً يُذكَر لكنهم اخرجوا من حكم هذه الظواهر بيروت ونواحيها فزعموا انها بخلاف الامر تنخفض شيئاً فشيئاً· وغايتنا في هذه النبذة ان نبحث عمَّا في هذا الزعم من الصحَّة فنقول:

انَّ الرأس الذي عليهِ مبنيَّة اليوم مدينة بيروت قد انفصل في قديم الزمان عن الأسناد التي ينتهي اليها جبل لبنان فساخت الارض وصارت على شكل وادٍ في وسطهِ يجري في هذا العهد نهر بيروت· امَّا في طور الارض الرابع قبل وجود الانسان في هذه الامكنة كان هذا الوادي مع ما يجاورهُ من السهل مغموراً بمياه البحر وكان هناك خورٌ كبير يجمع بين خليج مار جرجس شرقيّ جنوبي البلدة مياه البحر التي يصبُّ عندها وادي شحرور

وبياناً لذلك قد وصف المسيو هولّ الجيولوجيّ الانكليزي رواسب من الحصى المصقول المدوَّر كحصى البحر فاستنتج من ذلك انَّ البحر كان ممتدّاً في سالف الاعصار عليها· وهذه الرواسب البحريَّة قد وجدها سطوحاً مختلفةً في عدَّة مواضع من سفح لبنان الى بيروت· وعند المحلّ المعروف باوكندة المطران على طريق الشام منها قطعة متَّسعة تعلو فوق سطح البحر عشرة امتار

هذا وانَّ المسيو دينر العلَّامة النمسوي لم يقتنع بقول المسيو هولّ بيد انَّهُ لم يعلّل نكرانهُ بحجَّة فضلاً عن انَّهُ لم يفحص هذه الطبقة من الحصباء الراسبة التي مرَّ ذكرها· وزد على ذلك ان ابحاث المسيو دينر في مراكز مختلفة من الساحل لا تنفي صحَّة مراقبات العالم الانكليزي المنوَّه عنهُ

ولكن لدينا براهين اخرى تؤيّد قول المسيو هولّ بخصوص ارتفاع ساحل بيروت فنقول: اوَّلاً انَّ بجوار ثكنة البلدة فسحةً واسعة تركيبُ تربتها من الرمل ودقيق الحصى والحجارة المستديرة كما هو معهود على ساحل البحر· وما هو جدير بالاعتبار انَّ بين خليط هذه الموادّ جملةً من الاصداف البحريَّة وقد ميَّزتُ منها نوعين تجدهما بوفرةٍ على ساحل البحر قريباً من بيروت وهما التروكوس (Trochus) والكرديوم (Cardium)

ثانياً على منعطَف قُنَّة مار دمتري حيث يبلغ ارتفاع الارض من ثلاثين الى خمسة وثلاثين متراً توجد طبقة من التراب تركيبها كتركيب الفسحة السابق ذكرها· بيد أَنّي لم أرَ

في وسطها اثرًا للاصداف البحرية. لكنَّ المسيو بلنكنهُرن استقصى فحص هذا المكان ولم يتردَّد في نسبة هذه الآثار الى امتداد البحر هناك

فمَّا سبق يظهر جليًّا انَّ ساحل بيروت قد ارتفع في عهد الطور الرابع للعالم. ولكن يبقى علينا ان نبحث في حالته بعد هذا الزمان في الطور المعروف بالتاريخي. أتُرى تكون اختلفت حركاتهُ فساخت به الارض او بالحري هل لا يزال يتصاعد كما في سالف الاوان ؟

قد ارتأى بعض الكتّاب انَّ شواطئ بيروت تهبط هبوطًا بطيئًا تحت مياه البحر. وجاء في كتاب أليزه رُوكلو المنوَّن: (الارض والقارات) ما نصُّهُ: «انَّ في بيروت برجًا لا يزال ينخفض مع الأيام تحت المياه» (١

والى قوله استند غيرهُ من علماء الفرنسيس فزعموا انَّ المياه تتصاعد مع الزمان فتغمر قسمًا من ساحل بيروت

والبُرج الذي اشار اليه موسيو رُوكلو ليس هو كما ظنَّ العلّامة ديتر قلعة الصليبيين المبنيَّة على صخور الساحل لكنهُ بناء آخر مربَّع الشكل كان موقعهُ على صخرٍ ناتئٍ فوق البحر عند الميناء القديمة وقد طُمست آثارُ كليها نهدمتها اللتوم عند ابتناء المرفإ الجديد. غير اني قبل خراب البرج المذكور قد تمكَّنتُ مرارًا من زيارتهِ وفحصتهُ فحصًا مدقَّقًا فلم اكتشف اثرًا للانخساف الموهوم فانَّ جانبين من جوانب اساسهِ كانا مبنيين على الصخر ويعلوان فوق سطح المياه والجانبان الآخران كانا مساويين لسطح البحر

- ولا يسوغ لاحدٍ ان يدَّعي لبيان هذا الانخساف انَّ قطعًا من العَمَد تُرى الى اليوم غائصةً في مياه البحر اذ لا يجهل احد انَّ هذه الاساطين والاعمدة ليست هي في محلّها الاوَّل وانَّما أُلقيت في البحر بعد خرابها

ولعلَّ احدًا يعترضني قائلًا انَّ صخور الساحل كثيرة الثُّلَم والتقطُّع وهذا ممَّا ينبئ انَّ امواج البحر هي التي ابقت عليه هذه الآثار

فجوابنا على هذا الاعتراض أنّنا لا ننكر انَّ للبحر عملًا في تقطيع هذه الصخور وقرضها ولكن هذا لا يبيِّن انَّ الصخور المذكورة انخسفت تحت المياه لاسيَّما وانَّ هذا الزعم يخالف لكلِّ ما نراهُ في سائر سواحل بحر الشام

(١ Elisée Reclus : *La Terre et les Continents*, p. 758

فان سرتَ مثلًا الى شمال بيروت او الى غربها ترى على مدى الساحل صخورًا قُطعت قطعًا أُفقيًا وهي توازي لسطح البحر وقت ركوده. انما هذه الصخور مسطّحة قد قرضها البحر الهائج وقت اضطرابه فانهُ على توالي الاعصار تضرب امواجهُ عند النقطة الموازية لسطحه فلا يزال يقرضها شيئًا فشيئًا حتَّى يزيل قسم هذه الصخور المرتفع فوق هذا الخطّ

ولنا شاهد حسّي على هذا القول وذلك ما نراهُ في رأس بيروت في المحلّ المعروف بجزائر الحمام فكانت هذه الجزائر اوّلًا مواصلةً للبرّ فترى الامواج تعمل في حفّ هذه الصخور عملَ المنشار فتنشرها كل يوم عند النقطة الموازية لسطح البحر فصار قسمٌ من الصخور المنخفضة مسطّح الشَّكل على مدار هذه الجزائر. ولا شكَّ انّ بعد قرون قليلة ستصبح بتاتها سطحًا متساويًا. فلو كان كما يزعم العلماء ديغر ورروكاو وغيرهما قد انخفض الساحل لكنت ترى هذه الصخور تحت سطح الماء وهذا مخالف للواقع فينتج انّ قرض الصخور دليل على عمل الامواج لا على انخفاض الساحل

هذا وانَّ جهتي الساحل في جنوب بيروت وشماليّ شرقيّها تنطق بلسان حالها عن ارتفاع ساحل المدينة لا عن هبوطهِ

والدليل على ذلك انّهُ عند رأس نهر الكلب بقرب احدى الكتابات المرتفعة اليوم نحو عشرة امتار فوق سطح البحر قد اكتشف الدكتور روسّيغر في صُلب الصخر ثقوبًا مستديرة حفرَتها ايدي البشر يليها صور أناجر ومراسٍ إشارًا بانَّ في هذه الثقوب كانت تُربَط السُّفن في الاعصار الماضية لمّا كان سطح المياه اعلى يبلغ علوَّ هذه الثقوب. لكنَّ المقالع التي تستخرج منها اليوم الحجارة عند الكتابة اللاتينية الكبيرة قد ذهبت بكلّ هذه الآثار .

فيتَّضح ممَّا سلف انَّ ساحل بيروت لا يُستثنى من القوانين العامّة الجارية في عموم سواحل فينيقية وانَّ البراهين التي استند اليها البعض واهنة لا يُعتمد عليها. والله اعلم

المبارزة

للاب لويس معلوف اليسوعي

قد تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة حوادث المبارزات الاوربيَّة لا سيَّما بين بعض الاشراف ووجوه القوم فكان لوقعها صدًى في شرقنا العزيز حتَّى طنطنت لها الجرائد

المصريَّة وغيرها بيد انها لم تهتك بتر هذه العوائد السيئة التي هي اولى باعصار الهمجيَّة منها بعصر التمدُّن فاحبَّ احد مراسلينا الافاضل ان يكتب في ذلك نبذة لتقليم اظفار هذه الفتنة وإرتاج باب هذه العدوى دون بلادنا فقال :

«ما من بلاء او داهية اشدّ إجحافًا بحسن إدارة شؤون الأمَّة وأقوى تحامُلًا على دكّ دعائم نظام الهيئة الاجتماعيَّة من أن يُخوَّل لكل فرد من افراد القوم أن ينتقم لنفسهِ بنفسهِ ويُدافع بساطتهِ الشخصيَّة عن حقوقٍ لهُ وشرف يتوهَّم انهُ قد مسَّهُ عارٌ وهوان»

تلك اقوالٌ قضى بها نور العصر لاون الثالث عشر على جهالةٍ فشا شرُّها في الاقطار الاوربية ودبَّ دبيبها في القلوب حتَّى أصبح بعض القوم وهم في سبيلها يعتدُّون اعظم الجرائم وأفحشها فعلًا حسنًا ممدوحًا

لذاك حداني حبُّ الاوطان الى ان آتي ببعض القول في هذا المقام قصدَ أن اكشف القِناع عن هذه العادة وشؤونها فيقدّرها القرّاء الكرام حق قدرها ولا يحكمون فيما يذكر من هذا القبيل في المجالس والجرائد إلّا بما يستصوبهُ عقلهم السديد النيّر

تعريف المبارزة

المبارزة في عُرف الفلاسفة والمُشترعين هي قتال اثنين لداعٍ شخصيّ بعد التعاهد وباسلحةٍ كافيةٍ لقتل الخصم او جرحهِ جرحًا بليغًا. يتطاول مثلًا زيدٌ على عمرو في المقال ويرشقهُ بكلامٍ مؤلمٍ مهينٍ فيهيج في قلب عمرو هائج الأنفة والغَيرة على شرفهِ وانتصارًا لهُ يدعو زيدًا الى المبارزة ولسان حاله يقول: لا علاقة بيننا من الآن الّا علاقة مهين بمهان فلا تقع العين منّا على العين الّا في ساحة الطعان. اختر مكانًا ترضاهُ وها الأسلحة خذ منها ما تهواهُ ولتكن الدماء لَلحكَم الوحيد بيننا. وعليهِ ترى انَّ المبارزة تكون لاغراضٍ شخصيَّة عن قصدٍ واتفاق وتعاهد وبذلك يخرج عن موضوع كلامنا ما لم تجتمع فيهِ هذه الشروط. فان نتج مثلًا تطاعُن واقتتال عن مشاجرةٍ بغيرِ قصدٍ سبق فلا يُحسب ذلك مبارزة في حصر المعنى. وكذا قل عن طِعان الاثنين للانتصار للامّة او لحسم حرب من اقرب الاوجه وحقن دماء الجيوش. وقد اطلعتنا تواريخ الشعوب على شيء من ذلك كما فعل الهوراس والكورياس في حرب الرومان والسابين

اصل المُبارزة وتاريخها

المُبارزة على حدّ ما عرفناها لم يعهد لها اثر بين الاقدمين. بل اوّلُ ما ظهرت في شمالي

اوربة بين القبائل الجرمانية اوان انقضاضهم على المملكة الرومانية . وكانت تلك القبائل شأنها الغارة واكفاح واهراق الدماء فما كانوا يقدّرون شيئًا كتقديرهم للتهالك والتهافت على كل مهواة . وكان حرصهم على الشرف شديدًا يبذلون في الذبّ عنهُ الأعمار . وبذلك عرفهم الرومانيون فكانوا يقولون عنهم: انَّ البربري (الجرماني) يخاف العار ولا يخاف المنيَّة . وكان من عوائدهم ان كلًّا ينتقم لنفسهِ بنفسهِ وان الخصومات والدعاوي اكثرها لم يكن يفصلها بينهم نصُّ السُّنن او نظر القضاة . بل كانوا يُسرعون الى الاسلحة فيجعلونها بينهم حَكَمًا معتدّين عاقبة الطعان نبأً علويًّا ونُطقًا إلهيًّا يشير الى الحُقّ والحقوق ويُظهر الظالم والمظلوم فمن غَلَبَ كان الحقّ لهُ ومن غُلِبَ كان عليهِ

واضحت عادتهم هذه اصل المبارزة الشرعية وهي عبارة عن خطّةٍ اتّخذها قضاة بعض الامم الاوربية في حسم المشاكل . فكان القاضي يُقيم امامهُ المُدَّعي والمدَّعى عليهِ ويضع في ايديهما سلاحًا ويأمرهما بالطعان فمن غَلَبَ حكم لهُ ومن غُلِبَ حكم عليهِ

وقد انتشرت هذه الخطَّة في القرون المتوسّطة واخذ القوم يعملون بها رغمًا عن مقاومة الاكليروس واستقباح المشترعين ولم يقلعوا عنها كل الإقلاع الّا في اواخر القرن السادس عشر وعن هذه المبارزة الشرعيَّة صدرت المبارزة المألوفة عندهم في عصرنا

وذلك انَّ الرجال الذين كان دأبهم إقامة الحقوق بالتضارُب والاقتتال اضحوا على ممرّ الأيام يرتضون بان تقضي المحاكم الشرعية لهم وعليهم في الدعاوي المالية والخصومات المادّيَّة . لكنهم لم يزالوا يدَّعون لانفسهم حق النظر والحكم والانتقام في امور الشرَف زاعمين ان انتقاصهُ واهتضام حقوقهِ ليس من الامور التي يتيسر لمحاكم الشرعية النظر المصيب فيها . وانَّ من هذا القبيل ما لا يمكن عرضهُ على القضاة دون ان يتكبّد كلا الطرفين ثقيل الضيم ومرّ الاذى . ولبثت الاخصام في هذه القضايا يتداعون الى الطعان كما عهدوا في المبارزة الشرعية

ونشا هذا الامر في أثناء القرن السادس عشر بين كبار القوم واقبلوا عليهِ ايَّ اقبال فكانوا يتطاعنون لأوهى الدواعي وكثيرًا ما كانوا يندفعون في ساحات التبارز على سبيل الارتياض واللعب ولعمرك انها لم تكن العابًا بل ملحمات يلتحمون فيها التحامًا

على انهم كانوا يجرون في ذلك على قواعد وسنن معلومة يحافظون عليها كلَّ المحافظة وانَّ الشهود كانوا باديءَ بدءٍ يكتفون بحضور المبارزة ساعين بان تكون السنن مراعاةً

معمولاً بها من كلا الطرفين. غير انهم في النصف الاخير من القرن السادس عشر اخذ ينتصر كلٌ لصاحبه ويناضل عنهُ فغدت المبارزة اشبه منها بمعركة تتفانى فيها ارواح العباد

فهاجت لذلك خواطر القوم وقضى كل العقلاء واصحاب النُهى على هذا الامر الفظيع المنكر. بيد انهم لم يقووا على حسم الشر واستئصال شأفته من بين ظهرانيهم

وقد وصلت المبارزة الى آخر درجة من الفظاعة والاحتدام في عهد هنري الثالث وهنري الرابع ولويس الثالث عشر ملوك فرنسة. فكانت المدن بشوارعها يكاد لا يخلو فيها مكان من المتبارزين. ومما كان يزيد في الشرّ انَّ المتخاصمين اخذوا في تلك الازمنة يدسّون لبعضهم الدسائس ويكمنون مكامنهم شأن اللصوص وقطّاع الطرق. بل كانوا في بعض الممالك يستخدمون الرجال ويمولونهم ويمدُّونهم لتلك المهمات. ولا يبعد عن مثال تصورك ما وراء ذلك من الآفات ووخيم العواقب. انهم بالمئات كانوا يُحصون عدد الذين يقضون في هذه المبارزات تحييهم غير مأسوف عليهم ولا بذكر يُحمدون

فلم تعمَ اصحاب الامر والنهي ان تقدِّر هذه الفواحش قدرَها من الاضرار بالهيئة الاجتماعية والتطاول على حقوق السلطة الشرعية بل حقوق مبدع الحياة ورب الاعمار واخذوا يسنُّون السنن دفعًا لتلك الشرور وحقنًا لدماء العباد

فترى مثلًا في فرنسة شارل التاسع (سنة ١٥٦٦) وهنري الثالث (١٥٧٩) وهنري الرابع (١٦٠٢ و١٦٠٩) ولويس الثالث عشر (١٦١١ و١٦١٣) قد اصدروا في هذا الامر أحكامًا وتقريرات صارمة جدًّا لكنها لم تكن الَّا للتخويف ولم تُنفذ طبق المراد لما كانت الخواطر عليه من شدّة الانقياد لتيّ هذه العادة والتحمُّل بجهالتها. وكان الملك هنري الرابع تخالف افعالُهُ سنَّتَهُ اذ انهُ كان هو نفسهُ لا يأبى احيانًا مبارزة المتبارزين

ولكن لمَّا وصل الامر الى ريشيليو وتقلد منصب الوزارة اعار هذا الامر التفاتًا ساهرًا واقبل على ما كان سُنَّ ضد المبارزة من الشرائع فعمل بها ونفذها حتَّى التنفيذ ولم يتأخر عن اصدار حكم الاعدام على البعض من اكابر القوم لمخالفتهم الاوامر. فقمع جموحهم وردعهم زمنًا عن التبارز

واتى بعد ريشيليو لويس الرابع عشر ولم يكن باقلَّ منهُ عناية في هذا الصدد. وقد اصدر ضدَّ المبارزة اوامر مشدَّدة في سِني ١٦٤٣ و ١٦٥١ و ١٦٧٠ و ١٦٧٩ و ١٧٠٤

و ١٧١١ . فتناقص عدد المتبارزين تناقصاً يُذكر بيد ان عام القوم واميالهم الى هذه العادة لم تُستأصل من القلوب عن آخرها . ولم يقضِ لويس الرابع عشر نحبهُ الّا وعادت المبارزات الى ما كانت عليه واخذ يزداد شرّها ويتفاقم الى الثورة الفرنسية التي رغماً عن اراء بعض اعضاء مجلس القوانين الاساسيَّة لم يُسنّ فيها سنّ ضد المبارزة . ولا عجب

اما اذا نظرت الى مشترعي عصرنا فتجدهم لم يجاروا القوم على اوهامهم في الانتصار للشرف بالمبارزة بل قد نصُّوا فيهِ شرائع جمّة وعيّنوا لقمعهِ العقوبات الرادعة . لكن كل عاقل يأسف على انها لم تأتِ بالمراد وكانها في بعض البلدان قد اصبحت نسياً منسياً

على ان عدد المتبارزين عموماً قد تناقص الآن في الاقطار الاوربية . لكنهُ يبقى هناك من فعالهم ما يكفي لرشق عصرنا بذمّة يتبرأ منها التمدّن وتمجّها الآداب السليمة ويقضي عليها حاكم العقل المصيب

وما المبارزة في نظر العقل الّا جناية ثنيلة جمعت بين جنايتين جناية من تعمّد القتل وجناية من تعمّد الانتحار وما فيهما من اثم وفظاعة فهو الى المبارزة يُنسب نسبةً صادقةً تامّة

بيان سوء المبارزة عقلًا ونقلًا

الناموس الطبيعي الذي رقمهُ ربك مراسيمهُ على صفحات القلوب ينبئنا إنباءً جليًا بيّنًا بامرٍ لا ينكرهُ بشر ولا يتيسّر للعقل مهما اطال البحث وحاول التردد الّا ان ينقاد ويستسلم لراهن حقيقته . ذلك لان الانسان ليس لهُ ان يتصرَّف في الاعمار كما يهوى ولم يطلق لهُ العنان في ان يتهافت الى المهالك او يجرّ اليها غيرَهُ فيضرب لحياته وحياة الناس حدًّا محدودًا لا تتعدَّاهُ ويقضي عليها ان تنتهي كيف ومتى شاء . انَّما الاعمار لُمبدعها والارواح لربّها ومالكها . هو الذي ضرب لكلٍ اجَلَهُ وجعل لكل امدًا معلومًا عنده يسعى الانسان قبل حلوله سعيَهُ ويجدُّ جدَّه في سبيل التحصل على السعادة الكاملة والقيام بما تفرض عليهِ طبيعتهُ الناطقة من الواجبات لربه ولذاتهِ وللهيئة الاجتماعية اجمالًا وافرادًا

فلم يترك ربك للعباد ان ينقصوا من آجالهم كما انَّهُ لم يمكنهم ان يزيدوا فيها شيئًا . اذًا ليس لهم ان يعرّضوا انفسهم او غيرهم لعوامل المنيَّة قصدًا واختيارًا اللهمَّ ان لم تضطرّهم لذلك فريضة عُليا او يَدعُهم الى بذل النفوس داعٍ كافٍ يستصوب معهُ تاقد العقل تجشّمَ المخاطر واقتحامها

وما من فريضة او داعٍ راهن كافٍ يدعو المتبارز الى تحامله على الطعان والاقتتال

قلت لان تعريض الانسان نفسه او نفس غيره للمهات لا يحق في عين كل حكيم اعتبر ماهيّة الانسان بطبيعته الّا لشروط ثلاثة. اولها ان يكون بذل الحياة حرصاً على خير افضل منها او على الاقل يعادلها قدرًا. ثانيها ان لا يكون لصيانة هذا الخير الموازي للحياة سبيلٌ آخر سوى بذل الحياة او تعريضها للمهات اي ان يكون الاقتتال هو الوسيلة الوحيدة لذلك. وثالثها ان لا يكون حق الانسان في هذا الخير وصيانته يناقضهُ حق اعلى فينسخهُ ويزيله

والحال ان في المبارزة التي يعمد اليها الانسان لإزالة العار وصيانة الشرف لا تجتمع وعمرك هذه الشروط الثلاثة ابدًا

ان اعتبرنا صانك الله ان الشريف هو من تنزّه عما يشين العِرض واتّصف بالصفات الحسنة الكريمة لا من حصل ثناء أسقاط القوم او حُسنت فعله في اعين اصحاب الاهواء والاغراض والارعاع وان ذُكّرت فيك المصيب ان الشرف الصادق يقوم على الفعال لا على الاحاديث والاقوال برّ عقالك مرأى البصر ان سفك الدماء لأوهي واسطة واعجز وسيلة تتخذ لتبيان الشرف وإجلاء الوصمة عنهُ وإيراد الدليل على بهتان وافتراء من تحامل عليه ظلمًا وزورًا

ما سفك الدماء إلّا سفك دماء. لا يكشف عن ظلم ولا يُظهر كذبًا ولا يفصل بين صواب وبهتان ولا يبدي ادنى دليل عمّن هو البريء وعمّن هو الفضيل بل عن قوة الذراع ومهارته وطول مراسه للسلاح لا غير. ومتى عُهدت رشاقة الحركات والمهارة في تقليب السيوف والسهام دليلًا متمًا على فضل الانسان وشرفه في أعين قوم يعتارون ? اذًا لكانت اللصوص وقطّاع الطرق احق القوم ادّعاء بالشرف واجدرهم تقرّبًا من رُتب الفخار ومناصب الشرف

وان اعترض عليّ معترض بان المبارزة ليس القصد منها الاستدلال على الشرف بل الانتقام لهُ اجبتُ اولًا انّ الانتقام لحقوق في الهيئة الاجتماعية تختصّ به السلطة العامّة لا الافراد والّا لطمّت المظالم وتقوضت اركان العدل وذهب كل أمن وسلم من بين الناس. — واجيب ثانيًا انّ المبارزة تعاكس كلّ المعاكسة جوهر الانتصار لحقوق وذلك بيّن يكاد لا يحتاج الى زيادة برهان. لانهُ متى ثبت حقّ انسان على انسان ووجب الانتصاف اقتضى العدل ان يبقى المحقّ محقًا والمحقوق محقوقًا. أن ينتصر المحق من المحقوق.

أن يُعاقَب المحترق وحدهُ. ان لا يعادل بين الحق والحقوق في التحريم او العقاب. والمبارزة تعادل بين الطرفين وتساوي بين الحق والحقوق. تضع في ايديهما سلاحاً واحداً وتعرضهما لخطر واحد وتكون الدائرة لا على من تعدّى وظلم بل على من خانهُ الحظ او فاتتهُ المهارة فغُلب. وهو امر لعمرك تستغربهُ العقول

وهب انَّ المبارزة واسطة ملائمة ناجعة للتخلُّص من العار ودفع الهوان لكنها ليست الواسطة الوحيدة فيجب اذًا العدول عنها الى ما سواها : أجل لا استنزال المفتري الى ساحة البراز لازمٌ فان هنالك طرقاً شتَّى تمكِّن الانسان من تبرئة نفسهِ واظهار فضلهِ على انَّ شرفهُ اعلى واثبت واتره من ان يحطّ بهِ تطاول المتطاولين شيئاً عند اولي الالباب السديدة واصحاب الافهام السليمة. وعليهم المعوَّل. — ولا قبول المبارزة متى عُرضت واجبٌ لانَّ رفضها يُعلي مقام الانسان ولا يضع منهُ. يُعلي شأن الانسان ويرفع مقامه ان يستنير بانوار العقل غير منقاد للاهواء. والاوهام وألَّا يأتي امرًا يقضي عليهِ الناموس الالهي والناموس الطبيعي بل يكون شديد الحرص على شرائع العدل وما تقتضيهِ صوالح الامة ويحتقر طلب من يدعوهُ الى ارتكاب المحرَّمات وليس في ذلك من امر يدلّ على جبن وضعف جنان. وزد على ذلك انَّ للمرءِ ظروفاً جمَّة يستطيع ان يظهر فيها علوَّ همتهِ ومتانة قلبهِ وبسالته واندفاعه الى تكبُّد الاخطار واقتحام الاهوال عند ما يدعو اليها لا وهمٌ من فارغ الاوهام بل داعي الانصاف والعدل والتفاني في سبل الهدى

ويُظهر غيَّ المبارزة ايضاً أنها تختلس حقوقاً سامية حقوق الهيئة الاجتماعية وتجحف بها اجحافاً بيّناً وذلك ما نبّه اليه قدامة لاون الثالث عشر في الاقوال التي ذكرتها في بدء الكلام

للهيئة الاجتماعية حق راهن طبيعي واجب ألَّا يدخل فيها اسباب فساد ودواعي اختلال واضطراب فتصبح فيها اركان السلم هدفاً مستهدفاً وعُرضةً لكلّ الاخطار. وهذا الحق هو لا شكَّ اقوى من حق الافراد على خير لهم زمني مادّي أيًّا كان. والمبارزة في عين كل من اعتبرها عبرة متبصّر هي لا ريب مُخلَّة بهذا الحق مفسدة لهُ. والبرهان الذي لا ردَّ عليهِ في ذلك ان اصحاب الشرع في كل الامم المتمدنة ولاسيا في عصرنا قد صرحوا بذلك تصريحاً بيّناً اذ نصُّوا ضدَّ المبارزة السنن العديدة حيناً بعد حين كما مرَّ بك. وقد سنَّت بلجكة احكاماً في ذلك سنة ١٨٤١ وقرّرت عقوبات معلومة عليها سنة ١٨٦٧

وكذلك وضعت المانيا قانونًا لعقاب المبارزة سنة ١٨٧٦ واسبانية سنة ١٨٧٠ ثم ١٨٧٦ وهولاندة سنة ١٨٨١ والبرتغال سنة ١٨٨٦ وايطالية سنة ١٨٨٩ والروسية والدانمرك سنة ١٨٦٦ والنروج من سنة ١٨٤٢. وللولايات المتحدة واغلب جمهوريات اميركة المتوسطة والجنوبية واليابان شرائع تطلعك ان المبارزة أُدرجت في عداد اعظم الجنايات وعيّنوا لها العقوبات الشديدة لا ضدّ من باشرها فقط بل وضدّ من حضرها شاهدًا ومن عرضها او سبّبها من اي وجهٍ كان

وما كنيسة الله التي لم تزل ولن تزال ساهرة على الحقائق منتصرة للعدل مدافعة عن حسن الاخلاق وراحة العباد لم تبرح تقرع المتبارزين وتردعهم عن شططهم: فانّ المجمع التريدنتيني قد حكم حكمًا شديدًا على كلّ من باشر مبارزةً او اشترك في امرها اشتراكًا ما وقضى على المتبارزين بالشَين والعار مستقبحًا فعلهم مسترذلًا عادتهم وقرّر طردهم من حضن الكنيسة اذ أمر بمن قُتل في هذه الطاعنات الّا يُدفَن في المدافن الكنسية المقدّسة. ثم اتى بندكتوس الرابع عشر على تقرير المجمع المذكور وشرحهُ وعززه. وعقبهُ بيوس التاسع فاعلن ان العقوبات الكنسية التي قُررت سابقًا تطلق لا على المتبارزين فقط بل وعلى الشهود انفسهم. واطال بنا المقال لو ذكرنا لك كل ذلك مفصلًا فلتكفنا الاشارة

ولنا في تلك النصوص المدنية والكنسية اقوى تقرير وامتن تأييد للادلة العقلية التي اوردناها

ولكلّ حكيم ان يتمنّى لعصرنا عصر التمدّن والنور الذي يتباهى على الاعصر الغابرة بتهذيب الاخلاق وتدميث الطباع ان يعدل عن خطة توارثها القوم عن امم بربرة ويصبح وهو لا ينظر اليها الّا كما ينظر الى ما ساء من عوائد ومألوفات السلف بعين الازدراء والاستغراب

كتاب النبات والشجر

للاصمعي

عني بنشره وتصحيحهِ الدكتور اوغست هَفْنر

قد نشرنا في العدد الاوّل من المشرق (ص ٢٤ — ٣٢) كتابًا صغيرًا للاصمعي

موسوماً بالدارات استنسخهُ الدكتور هفنر تريل كلّيتنا عن بعض كتب مصر الخطّية. وقد ذكرنا وتتنذر انّ المجموع الذي نُقل عنهُ هذا التأليف يشتمل على كتابين آخرين للاصمعي وهما كتاب الشاء وكتاب النبات والشجر. فاما كتاب الشاء فقد سبق وطبعهُ الدكتور المذكور. اما كتاب النبات والشجر فلم يزل الى الآن مخطوطاً لا يُعرف لهُ غير هذه النسخة الوحيدة. فأحببنا ان نُتحف بهذه البقية ادباء العصر قبل ان تستولي عليها يد الضياع. وقد طبعنا المَتن بحرف كبير تامّ الضبط وزدنا في ذيل الكتاب عدّة حواشٍ من شأنها ان تبيّن معنى المتن وتزيل ما في الاصل من الالتباس ل. ش.

كتاب النبات والشجر

عن ابي سعيد الاصمعيّ عفا الله عنهُ آمين

رواية ابي حاتم سَهل بن محمَّد السجستانيّ عنهُ، رواية ابي بكر محمَّد بن الحسن بن دُرَيْد الازديّ عنهُ، رواية ابي القاسم عمر محمد بن سيف عنهُ، رواية ابي الفضل احمد بن الحسين بن حيرون عنهُ، رواية ابي منصور محمد بن عبد الملك بن الحسين بن حيرون عنهُ، رواية ابي الحسين عليّ بن عبد الرحيم بن الحسن (١ السُّلَميّ الرَّقيّ عنهُ، سماع هبة الله بن حامد بن احمد بن أيوب بقراءته عليهِ. هكذا وُجد بطرَّة النسخة القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرني الشيخ المهذَّب ابو الحسين (٢ عليّ بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك ابن ابرهيم السُّلَميّ الرَّقيّ المعروف بابن القصَّار قراءةً عليهِ بمدينة السلام في شهر ربيع الاوَّل من سنة اربع وخمسين وخمسمائة (١١٥٩ م) قال اخبرنا الشيخ ابو منصور محمَّد ابن عبد الملك بن الحُسين بن حيرون قراءةً عليهِ يوم الجمعة سَلْخ شهر رَمضان من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة (١١٣٨ م) قال انبأني عمّي الشيخ ابو الفضل احمد بن الحسين (٣

---

١) وهو الصواب كما سيأتي. وفي الاصل: الحسين

٢) وفي الاصل: ابو الحسن. وهو غلط كما اتى آنفاً

٣) وهو الصواب كما مرَّ. وفي الاصل: الحسن

ابن حيرون قال اخبرنا ابو الحسين محمّد بن عبد الواحد بن رزمة البزّاز بقراءتي عليه في جمادى الاولى سنة ... وعشرين واربعمائة (١٠٣٧ م) قال اخبرنا ابو القاسم عمر بن محمّد بن سيف قراءتي عليه في شهر رمضان من سنة خمس وستين وثلثمائة (٩٧٦ م) قال اخبرنا ابو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الازدي قراءةً عليه وانا اسمع في ذي الحجّة سنة ستّ وثلثمائة (٩١٩ م) قال اخبرنا ابو حاتم سهل بن محمّد السجستاني عن ابي سعيد عبد الملك بن قُرَيب الاصمعي:

[فصل في النبات عموماً][1]

يُقَالُ: رَأَيْتُ أَرْضَ بَنِي فُلَانٍ غِبَّ ٱلْمَطَرِ وَاعِدَةً حَسَنَةً إِذَا رُجِيَ خَيْرُهَا وَتَمَامُ نَبْتِهَا فِي أَوَّلِ مَا يَظْهَرُ ٱلنَّبْتُ[2]، وَيُقَالُ: وَشَمَتِ ٱلْأَرْضُ[3] إِذَا رَأَيْتَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَأَنْشَدَ:

كَمْ مِنْ كِتَابٍ كَٱلْمَهَاةِ ٱلْمُوشِمِ[4]

(وَيُنْشَدُ: ٱلْمُرْشِمِ. وَأَرْشَمَتِ ٱلْأَرْضُ أَكَذٰلِكَ). وَٱلْمُوشِمُ ٱلَّتِي قَدْ نَبَتَ لَهَا وَشْمٌ مِنَ ٱلنَّبَاتِ أَيْ شَيْءٌ يُرْعَى فِيهِ)، وَيُقَالُ: أَبْشَرَتِ ٱلْأَرْضُ إِذَا حَسُنَ طُلُوعُ نَبْتِهَا إِبْشَارًا[5]، وَيُقَالُ بَذَرَتِ ٱلْأَرْضُ تَبْذُرُ بَذْرًا[6] إِذَا

---

١) وضعنا بين معكّفين ما زدناهُ على الاصل ايضاحاً للمعنى

٢) جاء في لسان العرب في مادَّة (وعد): قال الاصمعي مررتُ بارض بني فلان غبَّ مطر وقع بها فرأيتُها واعدةً . . .

٣) وفي اللسان: أَوْشَمَتِ الارضُ . وهو الصواب

٤) جاء في اللسان في (رشم): والرَّشْم والرَّوْشَم اوّل ما يظهر من النبت يقال فيه رَشْمٌ من النبات وأَرْشمت الارض بدا نبتُها. وأَرْشَمت المَهاة رأت الرَّشْم فرعتهُ. قال ابو الاخزر الحماني: «كم من كتاب كالمَهاةِ المُرْشِمِ» ويُروى: الموشم بالواو. يعني التي نبت لها وشمٌ من الكلإ وهو اوّلهُ يشبّه بوشم النساء. والمهاة بقرة الوحش

٥) قال في اللسان في المادّة: أَبْشرت الارض اذا اخرجت نباتها. وأُبْشِرَت اذا بُذِرت فظهر نباتها حسناً فيقال عند ذلك ما احسن بَشَرَتها

٦) وفي الاصل: بدرت بدرًا بالدال المهملة وهو تصحيف. وفي اللسان: بذرت الارض بذرًا

ظَهَرَ نَبَاتُهَا مُتَفَرِّقًا ، وَيُقَالُ : وَدَسَتِ الأَرْضُ [illegible] وَوَدَّسَتْ تَوْدِيسًا حَسَنًا فِي أَوَّلِ مَا يَظْهَرُ نَبَاتُهَا[1] . قَالَ البَعِيثُ[2] :

كَأَنَّ تُنُودِي فَوْقَ طَاوٍ خَلَالَهُ ... بِيَنْبُوتَةِ القُصْوَى عَدَابٌ مُوَدِّسُ[3]

(وَالعَدَابُ المَكَانُ اللَّيِّنُ السَّهْلُ وَهُوَ مُسْتَدِقُّ الرَّمْلِ حِينَ يَنْقَطِعُ مُعْظَمُهُ[4] ، وَبَارِضُ النَّبْتِ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْهُ . وَيُقَالُ إِذَا ظَهَرَ نَبَاتُ الأَرْضِ : قَدْ بَرَضَتْ تَبْرِيضًا وَتَبَرَّضَتْ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ بَارِضُ البُهْمَى شَيْئًا فَهُوَ جَمِيمٌ[5] ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ وَتَمَّتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَقَّأَ فَهِيَ الصَّمْعَاءُ[6] . يُقَالُ : هِيَ وَاللهِ فِي البُهْمَةِ الصَّمْعَاءِ الحَبَشِيَّةِ (وَإِنَّمَا قِيلَ الحَبَشِيَّةُ لِشِدَّةِ خُضْرَتِهَا[7]) . قَالَ الشَّاعِرُ[8] :

وَيَأْكُلْنَ بُهْمَى غَضَّةً حَبَشِيَّةً ... وَيَشْرَبْنَ بَرْدَ المَاءِ فِي السَّبَرَاتِ

خرج بذرُها. وقال الاصمعيّ : وهو ان يظهر بذرُها متفرِّقًا

١) وفي اللسان : وَدَسَتِ الارض ووَدَّست وتودَّست تغطَّت بالنبات وكثر نباتُها وقيل أنَّها ذلك في اوّل نباتها

٢) كذا في الاصل ونظنُّ أنَّهُ تصحيف « البَعيث » وهو شاعر مشهور من بني تميم

٣) قال في تاج العروس (٩ : ١٥١) ان ينبوتة القصوى قرية في شِقّ بني سعد بين عُمان ويَبرين

٤) قال في اللسان في المادَّة : العَداب من الرمل كالاوعس وقيل هو المستدقُّ منهُ حيث يذهب معظمهُ ويبقى شيء من لينهِ قبل ان ينقطع . وفي الأصل : المذاب . وهو تصحيف

٥) جاء في اللسان في مادَّة بَرَضَ : قال الاصمعيّ : البُهْمَى اوّلُ ما يبدُو منها البارضُ . فاذا تحرَّك قليلًا فهو جميم (والجمع أجِمَّاء)

٦) روى في اللسان عن الازهري أنَّهُ يقال للنبات صمعاء لضمورهِ . (قال) ويقال بقلة صمعاء مُرتَوية مكتنزة وبُهمَى صمعاء غضَّةٌ لم يتشقَّق

٧) قال في اللسان : يقال روضة حبشيَّة اذا كانت خضراء تضرب الى السواد

٨) البيت لامرئ القيس يصف حُمُر الوحش . ويُروى في ديوانهِ : جعدةً حبشيَّةً . والجعدة الندِيَّة

(السَّبَرَةُ الغَدَاةُ البَارِدَةُ) وقال ذو الرُّمَّةِ :

كَسَا الأَرْضَ بُهْمَى غَضَّةٌ حَبَشِيَّةٌ وَصَمْعَاءُ حَتَّى آنَفَتْهُ نِصَالُهَا (١

(آنَفَتْهُ جَعَلَتْ تُوجِعُ أَنْفَهُ بِسَفَاهَا) . وسَفَاهَا شَوْكُهَا (٢ مِثْلُ شَوْكِ السُّنْبُلِ يَظْهَرُ إِذَا تَفَقَّأَتْ . قالَ الشَّمَّاخُ :

رَعَى بَارِضَ الوَسْمِيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا يَرَى بِسَفَا البُهْمَى أَخِلَّةَ مُلْهِجِ (٣

وَالْبُهْمَى الصَّمْعَاءُ (٤ مَا لَمْ تَنْشَقَّ غَضَّةً . فَإِذَا يَبِسَتِ البُهْمَى فَيَبِيسُهَا العِرْبُ (٥ . قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ :

وَصَامَ أَوَسَاطَ السَّفَا مُتَمَلِّقٌ أَرَاسَاغُهُ بِحَصَادِ عِرْبٍ نَاصِلِ (٦

وَهُوَ الصَّفَارُ أَيْضًا . وَقَالَ أَبُو دُوَادٍ :

فَبِتْنَا جُلُوسًا لَدَى مُهْرِنَا (٧ تَنَزَّعُ مِنْ شَفَتَيْهِ الصَّفَارَا

وَيُقَالُ: رَأَيْتُ بِأَرْضِ فُلَانٍ نُمَاعَةً حَسَنَةً وَبُمَاعَةً (٨ . وَيُقَالُ : وَلُمَاعَةٌ

---

١) رواهُ ابن السكيت في اللسان :

رَأَت بارضَ البُهْمَى جَمِيماً وبُسْرَةً وصمعاء حتَّى آنَفَتْهَا نِصالُهَا

ويروى: حتَّى أَنصَلَتْهَا . يصف ابلًا اي صَيَّرت النصالُ هذه الابل الى هذه الحالة تأنف رَعْيَ ما رَعَتْهُ وتكرههُ . وذلك في آخر الحرّ لمَّا ييبس سفاها . وقال ابن سيده يجوز ان يكون آنفتها جعلتها تشتكي انفها . وقال عُمارة : آنفتها جعلتها تأنف منها كما يأنف الانسان . ونصال البُهْمَى شوكها

٢) قال ثعلب : السَّفا أطراف البُهْمَى وقيل شوكها والواحدة سفاة

٣) الوسميّ مطر اوَّل الربيع . والبُهمى نبتٌ من احرار البقول . والسَّفا شوكهُ اذا يبس . والأَخِلَّة جمع الخِلال وهو عود يوضع في فم الفصيل لئلّا يرضع . والمهجّ الراعي فصيلَهُ اذا جعل في فيهِ خلالًا لئلّا يرضع

٤) وفي الاصل : صمناء . وهو غلط

٥) وفي الاصل : عُرْب . وهو غلط

٦) يصف بعيرًا شُدَّت قوائمهُ ثبات صائمًا بين يبيس البُهْمَى لما يصيبهُ من اذى شوكها . والناصل ذو النصال المُشْوِكة . وحَصاد كلّ شجرة ثمرتها او ما تناثر من حبّ البقول

٧) وفي الاصل : مُهرِيا . وهو تصحيف

٨) ومنهُ قولهم : اخرجت الارضُ بماعَها اذا أنبتت انواع العُشب أيام الربيع

حَسَنَة[١]. وهو بَقْلٌ ناعِمٌ فِي اوّلِ مَا يَبْدُو رَقِيقٌ . وَالدُّعَاعُ نَبْتٌ[٢] (وَلَمْ يَعْرِفْهُ أبو حَاتِمٍ) قَالَ سُوَيْدُ بْنُ كُرَاعٍ:

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ لُعَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّكَادِكُ وَاعِدُ[٣]

(رَاقَهُ أَعْجَبَهُ . وَاعِدٌ يُرْجَى مِنْهُ تَمَامُ نَبَاتٍ)، وَيُقَالُ أَرْضُ بَنِي فُلَانٍ نَاصِيَةٌ إِذَا اتَّصَلَ بَعْضُ نَبَاتِهَا بِبَعْضٍ، وَإِذَا غَطَّى النَّبَاتُ الأَرْضَ أَوْ كَادَ يُغَطِّيهَا قِيلَ: اسْتَحْلَسَتِ الأَرْضُ . وَأَرْضٌ مُسْتَحْلِسَةٌ[٤]. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

حَتَّى كَسَا كُلَّ مُرْتَادٍ لَهُ خَضِلٌ مُسْتَحْلِسٌ مِثْلُ عَرْضِ اللَّيْلِ يَحْمُومُ[٥]

(أَيْ خُضْرَتُهُ إِلَى السَّوَادِ)، وَيُقَالُ لِلأَرْضِ إِذَا طَالَ نَبَاتُهَا وَارْتَفَعَ: قَدْ جَارَتْ أَرْضُ بَنِي فُلَانٍ[٦] وَمِنْهُ يُقَالُ: غَيْثٌ جُورٌ وَجُوَرٌ إِذَا طَالَ نَبْتُهُ وَارْتَفَعَ . يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جَارَ الرَّعْدُ إِذَا صَوَّتَ . قَالَ جَنْدَلُ ابْنُ الْمُثَنَّى]:

---

١) قال صاحب اللسان في مادة لعّ: اللُّعاع اوّل النبت . وقال اللحياني: اكثر ما يقال ذلك في البُهْمَى . وقيل هو بقل ناعم في اوّل ما يبدو رقيقٌ ثمّ يغلظ واحدته لُعاعة . . . ومنهُ قيل في الحديث: انما الدنيا لُعاعة . يعني انّها كالنبات الاخضر القليل البقاء . . وقيل اللُّعاعة والنُّعاعة كلّ نباتٍ ليّن من احرار البقول فيها ماء كثير لَزِج

٢) نقل في اللسان عن ابي حنيفة انّ الدُّعاع بقلة يخرج فيها حبٌّ يتسطّح على الارض تسطُّحاً لا تذهب صُعُدًا . (وقال) واحدتهُ دُعاعة وهو نبت معروف

٣) الدَّكادك الجبال . يصف حمار وحشٍ يتنقّل من جبل الى آخر

٤) قال في اللسان: استحلس النبتُ اذا غطّى الارضَ بكثرته . واستأسدَ اذا بلغ والتفّ

٥) الخَضِل الناعم من النبات وغيره . وعَرْض الليل سوادهُ . واليَحموم الاسود من كل شيء . يصف مرعًى اشتدّ نباتُهُ وارتفع حتّى غطّى المواشيَ بطوله وشبَّههُ لخضرته الضاربة الى السواد بطائفة من الليل

٦) يقال جَارَ النبتُ اذا طال وارتفع وجارت الارضُ بالنبات كذلك . وفي الصحاح: غيثٌ جُوَرٌ اي غزير كثير المطر

يَا رَبَّ رَبَّ ٱلْمُرْسَلِينَ(١) بِالسُّوَرْ بِحُكْمِ ٱلْفُرْقَانِ تُتْلَى وَٱلزُّبُرْ
لَا تَسْقِهِ صَيِّبَ عَزَّافٍ جُؤَرْ(٢)

وَيُقَالُ لِلأَرضِ إِذَا حَسُنَ نَبَاتُهَا وَٱمْتَلَأَتْ: قَدِ ٱعْتَمَّتْ(٣). وَٱلنَّبْتُ وَقْتَئِذٍ مُكْتَهِلٌ(٤) وَمُمْتَمٌّ. وَيُقَالُ نَبْتٌ عَمِيمٌ وَعَمَمٌ أَيضًا. قَالَ ٱلأَعْشَى:

يُضَاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ مُكْتَهِلُ(٥)

فَإِذَا ٱشْتَدَّ خَصَاصُ ٱلنَّبْتِ وَفُرَجُهُ قِيلَ قَدِ ٱسْتَكَّ ٱسْتِكَاكًا(٦)، فَإِذَا خَرَجَ زَهْرُهُ قِيلَ قَدْ جُنَّ جُنُونًا(٧)، فَإِذَا طَالَ وَتَمَّ قِيلَ قَدِ ٱسْتَأْسَدَ(٨). وَزَهْرُهُ وَزَهَرَتُهُ وَنَوْرُهُ وَنَوْرَتُهُ وَنُوَّارُهُ سَوَاءٌ. وَمِنْ ذَلِكَ نَبْتٌ مُنَوِّرٌ، وَنَبْتٌ مُزْهِرٌ. وَيُقَالُ: ازْهَتِ ٱلأَرْضُ. قَالَ ٱلرَّاجِزُ:

أَلَا ٱرْحَلُوا ٱلدِّعْكِنَةَ ٱلدِّحِنَّةْ(٩) بِمَا ٱرْتَعَى مُزْهِيَةً مُغِنَّةْ

(ٱلدِّعْكِنَةُ ٱسْمُ جَمَلٍ. وَٱلدِّحِنَّةُ ٱلْكَثِيرُ ٱللَّحْمِ. وَمُغِنَّةٌ كَثِيرَةُ ٱلنَّبَاتِ)

(ستأتي البقية)

---

١) روى في اللسان: المسلمين ٢) يدعو على عدوٍّ له ان لا يُمطر ارضهُ فتُجدب. والصيِّب المطر الشديد. والعَزَّاف الذي فيهِ عَزْف اي صوتٌ لشدَّة رعدهِ.

٣) يقال اعتمَّ النبتُ اذا التفَّ وطال. ونَبْت عميم ومعتمّ وعَمَمٌ اي كثيف حسن. وهو اكثر من الجميم

٤) يقال اكتهل النبت اذا طال وانتهى مُنتهاهُ. وفي الصحاح: اذا تمَّ طولهُ وظهر نَوْرُهُ

٥) شرحهُ اللسان في مادَّة كَهَلَ. قال: يُضاحك الشمس معناهُ يدورُ معها. ومُضاحكتهُ أيَّاها حُسن له ونُضرة. والكوكب مُعظَم النبات. والشرق الرَّيان الممتلئ ماء. والمُؤَزَّر الذى صار النبات كالإزار لهُ

٦) قال صاحب اللسان: واستكَّ النبتُ اي التفَّ وانسدَّ خصاصهُ. الاصمعيُّ: استكَّت الرياضُ اذا التفَّت

٧) قال في اللسان: يقال. تجنَّنت الارض وجُنَّت جُنونًا. وقيل جُنَّ النبتُ غَلُظَ واكتهل. قال ابو حنيفة: نخلة مجنونة اذا طالت. وَجِنُّ النبتِ زَهْرُهُ ونَوْرُهُ

٨) قال ابن منظور: استأسدَ النبتُ طال وعَظُمَ. وقيل هو ان ينتهي في الطول ويبلغ غايتهُ. وقيل هو اذا بلغ والتفَّ وقوي

٩) ويروى: دِعْكِنةً دِحِنَّةْ. جاء في اللسان: الدِعكِنة الناقة الصُّلْبة الشديدة وقيل السمينة.

غريغوريوس ابن الفرج المعروف بابن العبري

للاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما سبق)

فلمّا سمع اهل الزوراء بقدوم ابن العبري اعدّوا لهُ ما يليق بشأنهِ من الحفاوة والاكرام. وكانت بغداد وقتئذٍ في قبضة المغول لم تقُم بعدُ ممَّا حلَّ بها من النكبات قبل ذلك العهد بخمس سنوات لمَّا استولى عليها هولاغو وخرّبها. وكان عليها عامل يقضي باسمهِ. امَّا النصارى فكانوا نالوا من الزُّلفى عند المغول ما لم ينلهُ غيرهم لاسيَّما النساطرة لما كان لهم من التداخل مع قبائلهم الشتَّى وعلى يدهم كان تنصَّر جمٌّ غفيرٌ منهم. وكانت منذ ايَّام المنصور اضحت بغداد مقاماً لبطاركتهم وهم المعروفون بالجثالقة لهم فيها عدَّة كنائس متسعة بديعة الاحكام

وكان الجاثليق النسطوري لمَّا قدم ابن العبري بغداد مكيخا اسقف نصيبين سابقاً فارسل وفدًا من قبلهِ لملاقاة المفريان ورحَّب بهِ عند زيارتهِ لهُ في الدار الجاثليقيَّة. وكان وقتئذٍ زمن الفصح فتألَّب النساطرة في كنيسة اليعاقبة ليحضروا الرُّتب والطقوس السريانية التي كان يترأَّسها المفريان

الَّا انَّ هذا الولاء بين نحلتين طالما اشتهرتا بالنزاع والخصام لم يدم زمنًا طويلاً. فانَّ اليعاقبة لمَّا رأوا ما جُبل عليهِ المفريان من الخصال الحميدة وانَّ منزلتهُ من العلم وغزارة المعارف اعلى من كلّ معاصريهِ اخذوا يُطنبون في محامدهِ ويلقّبونهُ باشرف الالقاب حتَّى خاف النساطرة ان يفقدوا ما كان لهم في بغداد من علوّ المرتبة فاجتمعوا الى بطريركهم وسعوا عندهُ بابن العبري ونسبوهُ الى الطمع برتبة الجاثليق التي خُصَّ بها النساطرة دون سواهم

فاحتدم مكيخا لهذا القول غضبًا وفكَّر في مناقضة ابن العبري لولا انَّ الله كفَّ عنهُ شرَّهُ فقضى البطريرك نحبهُ بعد ايَّام قليلة في العشر الثاني من نيسان من السنة المذكورة. امَّا ابو الفرج فانهُ اقام في بغداد طول الصيف ووضع الايدي على عدَّة شمامسة ثمَّ اختار لبغداد اسقفًا من طائفتهِ سامهُ بيدهِ وقفل راجعًا الى الموصل في الخريف. فسكنها مدَّة ثم اقام بتكريت

٨

وكان من ... مركزه هذا يصرف نظرهُ الى رعيتهِ الأُمة يكاد يلتهب غيرةً عليها واوّل ما وجّه اليه افكارهُ ان يرسل الى الكنائس أيمّةً فُضلاء. ذوي علم ودين ليعيد الّتهِ شأنها بين طوائف المشرق فلم يأخذهُ في ذلك لومة لائم ولم يغترَّ بما قدّمهُ اليهِ البعض من المال ليتولّوا امر الكنائس كما كانوا يفعلون مع اسلافهِ بل آثر من رآهم اهلاً لهذه المنزلة الرفيعة ولا يقلّ عددهم عن اثني عشر اسقفاً سامهم بيدهِ لبلاد متباينة

ومن اعمالهِ المحمودة ما شيّدهُ او رمّمهُ من الكنائس لم يجم عمّا استدعى ذلك من النفقات الطائلة والمشاكل المُعضلة. ومن جملة ما بناهُ كنيسة ببغداد ساعدهُ على اتمام هذا المشروع احد ابناء ملّتهِ ذو ثروة وعلم واسع اسمهُ صفيّ الدولة سليمان بن جمّال. وصرف عنايتهُ ايضاً الى تشييد بيعة واسعة في مدينة تبريز أحكم إتقانها وجهّزها بكل ما من شأنهِ ان يزيد الشعب اعتباراً لبيت الله ومن يتولّى شؤونهم الروحية. وزاد على ذلك مأوى للغرباء والزوّار كما فعل سابقاً في حلب

وكان ابن العبري كلفاً بزينة الكنائس وحسن هندستها. ولمّا رأى ان ملكة المغول مريم ابنة ميخائيل باليولوغ زوجة اباقا خان التاتار استقدمت من بلاط ابيها مصوّرَيْن بارعين في فنهما لنقش كنيسة الروم في تبريز ارسل فطلب منها احدهما وعهد اليهِ زينة كنيسة دير جديد كان المفريان اتمّ عمارتهُ في مدينة برْتلي على اسم الشهيد يوحنّا بَرْنجرا. فلبّى المصوّر دعاءهُ وقام باعباء الامر احسن قيام. ولمّا انتهى من زينة البيعة نقل اليها باحتفال عظيم ذخائر الشهيد وكان قد اكتشفها ابن العبري. واخبر في كتاب التاريخ الكنسي انّ الامر أُوحي اليهِ بالحلم بعد ان استحرَّ بالصلاة وعكف على الصوم والمبرّات ليرشدهُ الله الى الوقوف على مدفن الشهيد سابقاً

، وكان ينبغي لإنجاز هذه الاعمال الشتّى ولتفقّد شؤون الملّة ان يتجشّم ابن العبري اسفاراً كثيرة ويطوف بلاداً نازحة فلم يثبطهُ عن ذلك خوفُ مشقّة ولا عناء

وكان اعيان العصر يطرقون مجلس ابن العبري كما انهُ كان يتردّد على السلاطين واصحاب الامر فيعظمون شأنهُ ويحتفون بهِ. ومن ذلك دخولهُ على احمد بن هولاغو ملك المغول لمّا خلف اخاهُ اباقا سنة ١٢٨٢ م فرحّب بهِ كسلفهِ ومنحهُ المناشير المنبئة عن اعتبارهِ لهُ واقرارهِ بفضلهِ ورخّص لهُ ببناء الكنائس في العراقَين. وكان هذا السلطان

قد اسلم منذ زمن قليل امَّا اخوهُ اباقا فكان نصرانيًا واخبر عنهُ صاحب الترجمة (تاريخ الدول ص ٥٠٥) في تاريخ سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) انَّهُ يوم عيد النصارى الكبير دخل الى البيعة في همذان وعيَّد مع النصارى

وكان بطريرك النساطرة دنحا خلَّف مكيخا في سنة ١٢٧٧ يُجِلُّ ابن العبري ويراسلهُ في امور الدين والعلم. فلمَّا الجأتهُ بعض امور الملَّة ان يصعد الى بغداد استقبلهُ بكل ما امكن من شارات العزّ والحفاوة وخطب امام الحضور مكرّرًا قول الحكيم: طوبى لشعب اصاب كمثل هذا. وقد بقي الى عهدنا شاهدٌ على ١٠ دار بين المفريان والبطريرك من المباحثات. فاننا لمَّا كنَّا في الموصل دلَّنا حضرة الاب يوسف الكلداني وكيل الدرسة الاكليريكية على رسالة كتبها ابن العبري نظمًا الى دنحا يعرض لهُ بالبراهين العقليَّة والتآليد الراهنة صحَّة معتقد الكنيسة في اقنوم المسيح خلافًا لتعليم النساطرة. وهذه الرسالة لم توجد في ديوان ابي الفرج فارسلها الاب يوسف المذكور الى العلاَّمة الافرنسيّ الاب شابو فنشرها الشهرَ المنصرم من السنة الجارية في المجلَّة الاسيويَّة (١ وقد بلغتنا في الاسبوع الماضي

ومن تصفَّح ديوان ابن العبري وطالع كتب تواريخهِ ادرك ما كان لهُ من الهيبة في النفوس ومن نفوذ الكلمة عند الخواصّ وكان كثير من طلبة العلم يستجزلون فوائدهُ فيتألبون عليهِ من كلّ اوب. وقد ذكر من جملة تلامذته (٢ الطبيبين المشهورين ابا الخير التبريزيّ ويوحنَّا المراغيّ وكان مع ذلك لا يضنُّ بعلمهِ فيحيلُ شكوك من اتاهُ بنزاهة وكرم. وقد أخذ في تاريخ الدول (ص ٤٨١) على احد معاصريهِ المدعو يعقوب الدمشقيّ السامريّ لمشارطته من يقصدهُ من الطلاَّب للاستفادة دراهمَ معلومة. وقال عنهُ « انَّ هذه خساسة مباينة للانفس الفاضلة »

وكان كلَّفًا بصحبة الحكماء والفلكيين والاطبَّاء اعظم منهُ بتبريهم لما كان لهُ في فنون الفلسفة والهيئة والطبّ من البراعة والشهرة. وقد عدَّد في تاريخ الدول والتاريخ الكنسيّ جملة رجال من المشاهير الذين برزوا في زمانه بهذه الصنائع وقد اجتمع ببعضهم على اختلاف اديانهم كنصير الدين الطوسي وجمال الدين بن الرحبيّ الدمشقيّ. وقد قال عن هذا في تاريخ الدول (ص ٤٨٠) ما نصَّهُ: « وقد صحبتُهُ أُباشر معهُ المرضى بالبيمارستان النوريّ

---

١) Journal Asiat., 9e Série, XI, p. 75

٢) التاريخ الكنسيّ الجزء الثاني (ص ٤٦٠—٤٦٣)

بدمشق وكان حسن الاخلاق لم أرَ في الجماعات احسن منهُ زيًّا وصمتًا ونطقًا ومبسمًا

٩

وما من شأنه ان يذهل العقول ان ابن العبري رغمًا عمَّا احدق به من الشواغل العديدة وما باشرهُ من الاسفار الطويلة لم يزل واقفًا عمرهُ على التصنيف والتأليف. فكان اذا ما دخل مدينةً اسرع الى قضاء امور طائفته الروحية ثم يتفرَّغ الى الكتابة بنشطةٍ على ذلك ما يجدهُ في كلِّ مدينة من خزائن الكتب الحفلة العزيزة الوجود فضلًا عمَّا آتاهُ الله من قوَّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة. وكان يؤثر مدينة مراغة من اعمال آذربيجان لتصنيف كتبه

وممَّا صنَّفهُ هكذا في غضون تنقُّلهِ في البلاد شرح كتاب المساحة لاوقليدس وضعهُ نحو سنة ١٢٧٠ وحلَّ كتاب المجسطي في الهيئة لبطلميوس الشهير كتبهُ سنة ١٢٧٣

ولم يثنهِ انحطاط قواهُ عن الكتابة حتى عند اقتراب المنون. وقد اخبر عنهُ اخوهُ برصوما الراهب انَّهُ لمَّا انتهى الى مراغة قبل وفاته باشهر وهو في انتظار ورود المنيَّة اتاهُ بعض وجوه البلدة من العرب فطلبوا اليه ان يعرّب لهم تاريخهُ في الدول المكتوب في السريانيَّة فاجاب الى سؤلهم واخذ ينقل الكتاب الى العربيَّة وانجزهُ بنحو شهر فقط. وهو التأريخ الذي نُشِر بالطبع في مطبعتنا. ومن يقرأ هذا الكتاب يتعجَّب من حسن سبكهِ وفصاحة الفاظهِ وطلاوة كلامهِ. وقد تصرَّف في هذا التعريب بعض التصرُّف لأنهُ زاد على الاصل السريانيِّ عدَّة تفاصيل وضرب صفحًا عن غيرها كما رآهُ انسب لغرضهِ. وكلا التاريخين من التآليف العميمة الفوائد الجديرة بالثناء

وكان ابن العبري قويَّ البنية معتدل الخَلق لا يشكُّ من يراهُ انهُ سيُعمَّر طويلًا الَّا انَّ ما نهض بهِ من المشروعات الجليلة وتحمَّلهُ في مدَّة عمرهِ من المشقَّات كان قد انهك قواهُ ودكَّ صريح بنيتهِ. وكان في سنة ١٢٦٨ اصابهُ داءٌ عُضال كاد يذيقهُ كأس المنيَّة وذلك في ابَّان سفرٍ كان باشرهُ الى نواحي الارمن فبقي طريح الفراش مدَّةً وهو على رمَقٍ بين حيٍّ وميت ثم عافاهُ الله ومدَّ في اجلهِ

وما زاد على اوجاع الفريان واتعابهِ ما قاساهُ من ذوي ملَّتهِ. وقد بسط في تاريخهِ ما جرى بينهُ وبين البطريرك اغناطيوس تلميذ ابن المدنيّ من الوحشة لانَّ البطريرك لم يرضَ

بشورته في امور كانت تمسّ صالح الطائفة · ثمّ ترضاهُ البطريرك وارسل اليه ثلاثة من الاساقفة يطيّبون خاطرهُ · فتراضيا

وتوفي البطريرك المذكور في اواخر سنة ١٢٨٢ في دير تفسياط من اعمال قيليقية وكان قبل وفاته اصابهُ داء الاستسقاء · فلمّا احسَّ بوشك قضاء نحبه ارسل الى المفريان يستدعيه ليسلم اليه تدبير الكرسيّ البطريركيّ · فلم يتمكّن المفريان من السّفر لانّ الحروب في تلك السنة كانت قائمة على ساق والطرق ليست بمأمونة · وفي تلك الاثناء مات البطريرك فاسرع بعض كهنة قلعة الروم اسمهُ يعقوب وجمع ثلاثة اساقفة في دير برصوما وعرض عليهم ان يختاروا لهم بطريركاً ابن اخيه نمرود ففعلوا في اوائل سنة ١٢٨٣ واجلسوهُ على الكرسيّ البطريركيّ وتسمّى بفيلوكسين ونال لهُ عمّهُ منشورًا من ملك المغول · فكان هذا الانتخاب مخالفاً لكل سُنن البيعة لاسيّما انّ مجمع الاساقفة عُقد بمعزل عن المفريان · فما بلغ هذا الخبر ابنَ العبريّ حتّى ناصب البطريرك الجديد بكلّ ما تأتّى لهُ من الوسائل الّا انّ مساعيهُ ذهبت ادراج الرياح · والحقّ يقال ان هذه المنازعات كثيرًا ما انتشرت في هذه الطوائف المنفصلة عن كرسيّ هامة الرُّسل فبلبلت نظامها وقوّضت دعائم قوّتها · وحسبنا على ذلك دلائل لا تُحكر ما دوّنهُ ابن العبريّ في تاريخهِ الكنسيّ وهو مشحون بذكر هذه الخصامات والمشاجرات · صان الله كنيستهُ من شرّها

١٠

فكان ما وجدهُ ابن العبريّ من التشجّب والإعنات في هذه الظروف مؤثّرًا في مزاجه ايَّ تأثير · فاعتزل الامور وتخلّى للدرس الى سنة وفاته · ولمّا حدث في تلك السنين زلازل كثيرة كادت تخرب مدينة ملطية وتفسد دير برصوما برمّته عزا المفريان ذلك الى عقاب الله وغضبه تعالى على اهل ملّته

واخبر اخوهُ برصوما صافي الراهب انّ شقيقهُ كان يتوقّع حلول منيّته في سنة ١٢٨٦ مستدلًا في ذلك الى مراقبة النجوم · وفي ديوانه قصيدة تُشعر بهذا الاعتقاد الباطل الذي كان كثيرٌ من مُعاصريه يُفتون بصحّته

ولمّا تكرّرت في هذه السنة غزوات اهل الشام بجهات الموصل حتّى خاف الاهلون على ارواحهم انتقل ابن العبريّ من الموصل الى مراغة في آذربيجان · فكان هذا السفر منشّطاً لقواهُ وبقي مدّةً مشمولاً بحسن الضيافة مكرّماً من اهل المدينة على اختلاف

مذاهبهم الى العشر الاخير من شهر تموز فابتلاهُ الله بحمّى شديدة في ٢٨ منهُ. فتواردت اليهِ اطباء البلدة واشاروا عليهِ بشرب الدواء. فلم يرضَ زاعمًا انَّ ساعة وفاتهِ قد دنت واخذ يفكر في امور رعيتهِ ويوصي اخاهُ بنيّاتهِ الاخيرة ويعزّي الحاضرين المكتئبين لدنوّ أجلهِ

ولمّا كان اليوم الثالث من مرضهِ استدعى كاتب اسرارهِ فاملى عليهِ قول الكتاب (اشعيا ٤٠: ٦): كلُّ بشرٍ عشبٌ وكلُّ مجدهِ كزهرِ الصحراء. ثم حرَّض تلامذتهُ على التحابّ والألفة مكرِّرًا لهم قول الربّ في انجيل يوحنا: «بهذا اوصيكم ان يُحِبّ بعضكم بعضًا». فاخذ الحضور يذرفون الدموع السخينة على سيّدهم وكان منهم من يمزّق ثيابهُ وغيرهم يذرُّون التراب على هامتهم بينما كان هو يتلقّى الموت بوجهٍ بشوش. قال اخوهُ «وبقي على هذه الحالة بضعة ساعات حتى انطفأ هذا السراج المضيء. او بالحريّ هذا النور الساطع وسقط هذا العمَد الوطيد لملّة اليعاقبة الصغيرة والضعيفة فانتقل الى رحمة ربّهِ» في ليلة الثلاثاء الواقعة في ٣٠ تمّوز من السنة ١٢٨٦

فكان لنعاهُ وقعٌ عظيم كأن المدينة أُصيبت بخَطْب جَلَل فاجتمعَ اليعاقبة والنساطرة والروم والارمن عند جثّتهِ وقضوا نهارهم في الصلاة عليهِ. وكان وقتئذٍ بطرك النساطرة يَهبالاها خَلَفُ دِنحا منذ سنة ١٢٨١ موجودًا في مراغة فامر كلَّ نصارى ملّتهِ بان يتنحّوا عن الشغل ويلبسوا الحداد ايذانًا بما طرأ على النصرانيَّة من الرزيّة العظمى بوفاة هذا العلاّمة الجليل. وبعد ذلك بمدَّة نُقلت جثّتهُ الى الموصل فدُفنت باحتفال في دير مار متّى حيث لا يزال قبرهُ مكرّمًا كما سبق (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

ولم اقف ألاّ على القليل من اخبار بحتر (١. وامّا اخبار من قبلهُ فجدُّ والد بحتر وهو

١) وقد جاء في كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٦٦٥ – ٦٦٧) تفاصيل اخر عن ترجمة الامير بُحتر لا نعلم من اين اخذها الكاتب. وانّا نتعجّب كيف جهلها المؤلف مع تنقيبهِ عن اخبار اجدادهِ. وهاك ملخّص ما ورد في الكتاب المذكور قال: انَّ الفرنج في سنة ١١١٠ م

ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبد الله كان اميرًا بالبيرة سنة ثماني عشرة واربعمائة . واماً النسبة الى آل عبد الله فليست هي الى عبدالله هذا وانّما هي نسبة قديمة تتقدّم على سنة ثماني عشرة واربعمائة بسنين كثيرة . ومن الدليل انّ الآل هي الفروع التي تنتسبُ الى اصل واحد وعبدالله هذا لم يكن لهُ في ذلك الوقت فروع كما انّ آل سليمان(١ يزعمون ان سليمان من ولد خالد بن الوليد رضي الله عنهُ وهو متقدّم على هذا التاريخ بمئين من السنين وان يكن للسلف شركاء في النسب على بُعد فالسَّلَف اصول بالكبريّة والامريّة وما عداهم فروع. والشرفُ في الاصل لا في الفرع

وقد وجدتُ في بعض انساب البلاد انّ الامراء بعرامون(٢ من الحمّيرا(٣ من البقاع. فان كانت نسبة صحيحة فهم الامراء من بني ابي الجيش المعروفين ببني سعدان بعرامون. وغيرُهم من الامراء بعرامون هم من ولد زين الدين بن عليّ بن بحتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله . وقد جعل بعض الحمقى هذه النسبة مَشطًا في الكلام الى انّ السلف ليس منهم احد من ولد جُمَيهر . فهذا غلط مفرط وحسدٌ أضلّهُ عن الصواب لانّ دلالة النسبة واضحة يتوارثُها في البيت اصاغر عن اكابر ويتداولها خلَف عن سلَف ولو لم يكن لهم دليل ألّا مناشيرهم لكفاهم ذلك (٤ لانّ (21 ت) مناشيرهم باقية باسماء السلف من قديم

(٥٠٣ هـ) انقسموا الى فريقين احدهما في جنوب بيروت والآخر في شمالها فدهموا الغرب وضبطوهُ وقتلوا كثيرًا من الامراء لم ينجُ منهم سوى الامير بحتر بن عضد الدولة عليّ وكانت أخفتهُ أمّهُ في عرمون حتّى انجلت الفرنج . وكان صاحب صيداء الامير مجد الدولة صالح الفرنج على الامان فسار الى الغرب واخذ بترسيمهِ واستقلّ بالامارة وولّاهُ عليها طغتكين صاحب دمشق سنة ١١٢٦ م. ثم قُتل مجد الدولة فخلفهُ ابو العشائر بحتر بن عضد الدولة فنفذ حكمهُ وعظم امرهُ . وكتب اليهِ سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) مجير الدين آبق (كما ذكر ابن صالح) . وفي سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) كانت واقعة رأس التينة عند نهر الدير بين الامير ابي العشائر والفرنج قُتِل فيها كثير من الفرنج وفرّ الباقي الى بيروت وتحصّنوا فيها . ومن ثمّ ترادفت غزواتهُ عليهم حتّى بلغ الشهرة العظيمة . وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م)

١) يريد حيًّا من احياء المسلمين لم نطّلع على اخبارهم

٢) عرامون المذكورة في هذا التأليف احدى القرى الكبيرة في مقاطعة الغرب الاسفل ومعناها بالسريانيّة التلّة . وفي مقاطعة كسروان قرية اخرى بهذا الاسم

٣) هم حيٌّ كبيرٌ من العرب كانوا يسكنون في بقاع العزيز

٤) حاشية المؤلف : وجميع ما نذكرهُ من المناشير والمكاتبات والاوراق فهي عندنا محفوظة الى هذا اليوم

جدول ثانٍ

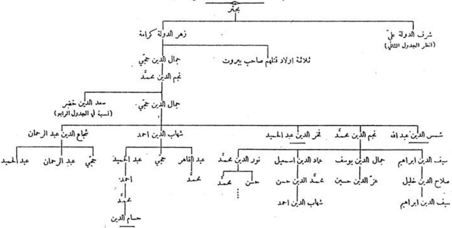
لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب

- بحتر
  - زهر الدولة كرامة (انظر الجدول الاول)
  - شرف الدولة علي *
    - زين الدين صالح
      - ناهض الدين بحتر
        - شمس الدين كرامة
      - شرف الدين علي
        - عزّ الدين حسين
          - شرف الدين علي
            - ناهض الدين
          - بدر الدين يوسف
        - بدر الدين
        - موسى
      - صلاح الدين يوسف
        - سيف الدين مفرج
          - شمس الدين محمّد
            - علي الدين علي
          - جمال الدين احمد
            - سيف الدين مفرج
          - ناهض الدين علي
          - صلاح الدين خليل
            - جمال الدين احمد
              - ناصر الدين محمد (احمد .أ)
        - عماد الدين موسى
          - نجم الدين محمّد
          - بدر الدين حسين (حسن)

* قد وقع في الجدول الاول (ص ٢٧٢) غلط في ذكره وذكر ابنه زين الدين صالح والمعوّل على هذا الجدول

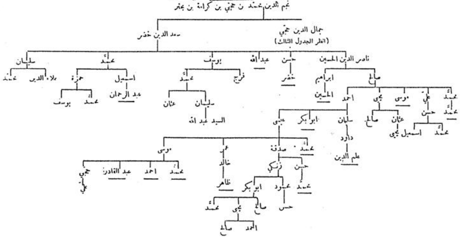
جدول ثالث

لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب



جدول رابع

لنسب الامراء التنوخيين من بني الغرب



الزمان متسلسلة متصلة باسم بعد اسم الى منشور بحتر المذكور لم تنقطع وهي واضحة البيان خليّة من الإشكال لم يدخل فيها ريب ولا وهم. ومنشور بُحتر المذكور تاريخهُ سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) وبين سنة ثماني عشرة واربعمائة مائةٌ واربع وعشرون سنة. فليس هذه مدةٌ يجهل فيها بحتر نسبهُ ولا هي مدّة تبعد على اربع دول اعني أيام بحتر وأيام والده عليّ وأيام جدّه حسين وأيام جدّ ابيه وهو ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله الذي ذُكر في منشور بحتر وكان مذكورًا في سنة ثماني عشرة واربعمائة فهذا ردٌّ على الجاهل الذي ذكرناهُ وقد قيل:

ما ضرَّ نهرُ الفراتِ يوماً   ان ولغ بعض الكلاب فيهِ

ذكر كرامة بن بحتر *

ثمَّ بعد بحتر نذكر ولدهُ زهر الدولة(١ ابا العزّ كرامة بن بحتر بن عليّ. قيل ان كرامة المذكور هو الذي سكن حصن سرحمور(٢ وربما كان سكناهُ فيهِ عندما قويت شوكة المسلمين باستيلاء الملك العادل نور الدين على دمشق. وربّما كان كرامة قد اهمل الفرنج وتمسَّك بالملك العادل. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مرسومًا مطلقًا من الملك العادل نور الدين. علامتهُ «الحمدُ لله» في رأس المرسوم فوق البَسْمَلة. من مضمونهِ (٢١): انَّ الامير النجيب زهر الدولة مُفيد الملك امير الغرب كرامة ادام الله تعالى عزَّهُ وسلامهُ مملوكنا وصاحبنا ومَن اطاعَهُ فقد اطاعنا ومَنْ عاونهُ في جهاد الكفّار فقد عمل برضانا وكان مشكورًا منّا. ومن خالفهُ في هذا الامر وعصاهُ فقد خالف امرنا واستحقَّ المقابلة والسياسة على العصيان. تاريخهُ سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (١١٥٧ م)

واما منشورهُ فهو من الملك العادل نور الدين المذكور. وعلامتهُ «الحمد لله» فوق البسملة مثل العلامة الاولى. ومن مضمونهِ: لمّا جاهر الامير زهر الدولة شجاع الملك جمالُ الامر ابو العزّ كرامة بن بحتر التنوخي ادام الله عزَّهُ الى بابنا زِيدَ علاهُ ولاذ بالخدمة وتقرَّب اليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها تُقبل سعيهُ وأُجيب الى مُلتمَسِهِ ورُسم له

---

* انظر جدول نسبهِ (ص ٣٧٣)

١) حاشية للمؤلف: ووجدتُ لقب المذكور في المكاتيب القديمة شمس الدولة كرامة وقيل شمس الدين

٢) سرحمور قرية قريبة من عرامون في مقاطعة الغرب الاسفل

أنشاء هذا المنشور مُودَعًا ذكر ما تأمّل لهُ من الإرعاء والاحترام والاعزاز والاكرام يوضح ذكر (١ من ديوان الاستيفاء المحروس حماهُ الله . والعدَّة اربعون فارسًا وما امكنهُ وقت المهمّات الشريفة . وجهاتُهُ غالب قرى الغرب . ومن غير الغرب القُنَيْطرة (٢ من البقاع ظهر حمار (٣ من وادي التيم ثمابايا (٤ من البقاع ايضًا بُرجة بعاصر منها المعاصر والفوقا (٥ والدامور (٦ وشارون ومجدلبعنا وكفرعَمَيه (٧ (22ʳ) والتاريخ سابع شهر رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة

وقيل انّ هذا المنشور بخطّ العماد الاصبهاني الكاتب (٨ وهي كتابة عليها الضعف (٩ والملك العادل زاد في إقطاع كرامة المذكور وهذا ممّا يدلّ على ميل كرامة اليه . وكان الملك العادل محاربًا للفرنج فلا عجبًا من تحصّن كرامة في حصن سرحمور . واما اخوهُ شرف الدولة عليّ بن بحتر فهو والد زين الدين بن عليّ ومن ذُرّيتهِ الامراء بعراءون وسيأتي ذكرهم فيما بعد ان شاء الله)

زين الدين بن عليّ

كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ولدي نجم الدين محمّد بن جمال الدين حجّي بن كرامة المذكور فكان في زمانهما وهو ابن عم جدهما (١٠ (راجع الجداول الثلاثة في الصفحات ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢) (ستاتي البقية)

---

١) هكذا ورد في الاصل ولم نتبيَّن مراد الكاتب

٢) هي ضيعة صغيرة من ارض البقاع اهلها من المتاولة

٣) لم نجد لها ذكرًا

٤) وهي قرية صغيرة بقرب تنايل والشتورة أهلها من العرب

٥) لم نعرف مواقع هذه القرى

٦) الدامور يريد بهِ النهر الواقع في جنوبي بيروت في نصف الطريق بينها وبين صيداء وما جاورهُ من المزدرعات

٧) شارون ومَجدَلبَعنا وكفرعمَّيه ثلاثة قرى معروفة من مقاطعة الجرد

٨) كان كاتبًا لنور الدين ولصلاح الدين الايوبي (راجع ترجمتهُ في وفيات ابن خلكان الجزء الثاني ص ٩٧ في حرف الميم) توفي سنة ٥٩٧ (١٢٠١ م)

٩) لعلّهُ يريد ان انشاء هذا المنشور ركيك

١٠) وفي هامش الكتاب ما حرفيتهُ: صحيح كان ذلك

رواية الشقيقتين

(للاب هنري لامنس اليسوعيّ)

٢

فلله بيروت ما اجمل موقعها وابهج مرآها لما ترسو السفينة بالقرب ازاءها لاوّل مرة فلا جرم انّ محاسنها تخلب قلبهُ وتسبي مشاهدها لبّهُ

وكان البارون دي لَيْنس مع كثرة ما رآهُ من البلاد لا يتمالك من العجب لدى نظرهِ هذه المدينة الفائقة. ذات المناظرِ الشائقة. تدخل في البحر كأنها تقتحم أهوال الدأماء. وتتوسّد جبالًا تأتزر قممها بالسحاب وتتعمّم بالثلوج الغراء. دورها محكمة البُنيان. واشجارها باسقة الافنان. وهي تجمع بين مرافق البرّ والبحر والجبل والسهل

غير انّ افكار البارون لم ترُق بعد كي يلتهي بمحاسن بيروت ولما كانت خواطرهُ كلُّها متّجهةً الى مصيف سعادة القنصل ب. ما لبث ان ركب العربة في غد ذلك اليوم ونزل عند الضحى امام الدار الموصوفة آنفًا. فاسرع لاستقبالهِ اهل البيت وتحفّوا بهِ وبالغوا في اكرامهِ حتّى نسي بعد هُنَيهة كلَّ عناء السفر

والحقّ يقال انّ منزل المسيو ب. كان يجمع كلّ اسباب الهناء والراحة واصحابهُ ممّن يراعون حقوق الضيف وهم علاوةً على ذلك متّصفون بكل ما يجمّل الناس من الفضائل الاهليّة والآداب الانسانيّة

فما رسخت قدمُ البارون في هذه الدار حتّى انتعشت روحهُ وشعر بعودة قواهُ بين اصحاب لم تَشُب اخلاقهم شائبةٌ ولم يعكّر صفاء مودّتهم كدرٌ. فشتّان بين ما وجدهُ عندهم من الأُنس ورغد العيش وبين ايّامهِ السابقة في عاصمة اليونان اذ كانت تحدق بهِ هموم رتبتهِ فلا يرى مَناصًا من مُخالطة قومٍ أعماهم الجَنف واستفزّهم حبُّ الذات. فكان يتنسّم في وسط الجبال الريح الطيّبة وهو يتهنّأ بنسيم الحرّيّة

ثمّ اخذ يتجوّل بصحبة القنصل في الانحاء المجاورة لمنزلهِ وربّما كانا يتسنّمان صَهَوات الخيل فتارةً يطويان البيد واخرى يهبطان الى الوديان او يسعيان في الجبال للصيد والقنص. ومُجمل القول ان البارون كان يصرف حياتهُ في الهناء بعيدًا عن ضوضاء العالم ومن مجالس المُسامرات الباطلة التي لا تجدي القلب راحةً

ألا انّ ما زاد البارون بسطاً وانشراحاً انما كان اجتماعهُ مع لفيف عائلة القنصل . في طرَفَي النهار فينبذ عندئذٍ كلّ تكلُّف ويطلق لمواطفهِ العنان ويقضي بحديث اهل الدار ساعات يعدُّها من اهنإ زمن حياتهِ

وكان منذ اول يوم وصولهِ شعر قلبهُ مائلاً الى ابنتَي القنصل لما وجد فيهما من السجايا الفريدة وهما شُعبتا اصلٍ واحد نتجتهما أُمومةٌ في اليوم ذاتهِ. واسم الاختين سوسنّة ووردة لم يكد عمرهما يُربي على الثاني عشرة سنة وهما مع ذلك تتشابهان قدًّا وحسناً

امّا مولد الفتاتين فكان في ارض المغرب لكنّهما نمتا وترعرعتا في الشرق فجمعتا بين خصال الخافقَين. فكنتَ ترى فيهما سذاجة البلاد الشمالية مُدمَجةً بشيء من ترَف اهل الشرق ورزانة طباعهم فتمتزج بشخصيهما اوصاف كلا الصقعين امتزاجاً رائعاً

وكانت أُمّهما من السيدات العاقلات المجمّلات باحسن الصفات قد ارضعتهما بلبانها واشربتهما منذ الصِغَر روح التُقى والحشمة فنشأتا في حَجرها ومُهّدتا في كَنفها وسترها ودرجتا من وَكرها وهما تألفان الدار الوالدية لا ترضيان لها بديلًا وكادتا لا تعرفان من العالم ألا اسمهُ. فكان من يراهما يستدلّ بصفاء عيونهما على طهارة قلبهما

وبُجمَل القول انّ سوسنّة ووردة كانتا تحققان بشخصيهما ما افتتحنا بهِ كلامنا عن ائتلاف الاخوات الشقيقات. والحقُّ يقال ان الاخوّة كانت تأنّست منهما بملاكين ارضيين فاخرجتا الى حيّز الوجود ما تخيلهُ القصاصون في رواياتهم المختلفة ذات الغلوّ البيّن عن امر التُّؤام وما يوجد بينهم من العلائق الوثيقة

ومن خواصّ الابنتين المذكورتين تشابههما بالخلقة والقدّ والصوت كتشابهِ الذرّة بالذرّة لم تفرز بينهما العين اللهمَّ ألا عين والدتهما امّا باقي اهلهما فاضطرُّوا الى ان يفرقوا بين النجلتين زمناً طويلًا بعلاماتٍ خاصّة لئلاَّ يقع التباسٌ بينهما

وبقيتا على هذه الحال الى السنة الثانية من عمرهما حيث بدا في وجههما بعضُ تباين وذلك بانّ لون سوسنّة جعلَ يضرب الى البياض وشعرُها الى الشقرة بينما اضحت وردة مزدهرة اللون قاتمة الشعر كأنَّ الطبيعة نوت فيهما تطبيق المسمّى على الاسم. وجارت الأمُّ الطبيعة بأن كستهما ثياباً تشعر باسميهما وخلقتيهما

ولا غروَ انّ ما سبق لنا من الوصف لخَلق الشقيقتين وخُلقهما وقع في قلب البارون دي كَنس موقعاً اثيرًا. وما زاد على ميلهِ نحوهما ما طُبع هو نفسهُ عليهِ من لين العريكة

والهِمَم العالية. ونما اعتباره للاختين لمّا رآهما تتباريان فضلًا وصلاحًا لا تعكّر بينهما صفاء الوداد شائبةٌ فكان يشبّهما بزنبقتين نبتا من فرعٍ واحد تزدهيان حسنًا وتتكاتفان ولاء

وفي واقع الحال كانت سوسنة ووردة مرتبطتين ارتباطًا غير منفصم تتشاطران الافراح والاتراح وتتباءَمان الافكارَ والعواطف فتخالهما نفسًا واحدة في جسدين

وكان مع ذلك في طبعهما بعض اختلاف فانّ سوسنة كانت كثيرة التصوّن بينما كانت وردة فكهةً طيّبة النفس. فكانت من ثمّ تميل سوسنة الى التخلّي والانفراد وربّما فكّرت ان تلبس الثوب الرهبانيّ في جمعيّة الراهبات اللواتي ربّينها صغيرةً وهذّبنها فتاة وأفشت بسرها لاختها وردة. بيد انّ هذه استولى عليها الكآب وصرّحت لاختها ان لا سبيل للفراق مطلقًا فلم تَعُد سوسنة الى الكلام بهذا الصدد

امّا البارون دي لينس فمع ما وجدهُ في نفسهِ من الانعطاف الى الاختين كان يشعر قلبهُ مائلًا الى وردة اكثر منهُ الى سوسنة يسرّهُ منها طلاقة لسانها وتوقّد ذهنها ودعابة طباعها فضلًا عن سذاجة اخلاقها واستقامة قلبها

فمذ ذاك الحين لم يَعُد يرى مانعًا لأن يتأهّل لانّهُ كان وجد المرأة الفاضلة التي يصفها السفر الكريم ويؤثرها على قيمة اللآلئ. ولم يلبث اعتبارهُ لخصائل وردة ان يتحوّل الى مودّة صادقة وحبّ متين. ولمّا انتهى بعد شهرين زمنُ رخصتهِ فآن وقت رجوعهِ الى اثينة صرّح الى القنصل بنيّتهِ وخطب منهُ ابنتهُ وردة. فبعد فحص الامر وعرضهِ على الفتاة لم يرَ المسيو ب. بدًّا من الاجابة الى طلبتهِ

٣

وكان خريف تلك السنة غزير الامطار فترطّب من جرّانها هواء السواحل امّا الجبل فكانت اوراق اشجارهِ اخذت بالانتثار وصار بردهُ نافذًا فاسرع اعيان بيروت وبارحوا ربوعهم الصيفيّة منحدرين الى السهول يتنسمون هواءها المعتدل ويباشرون اشغالهم المألوفة. فعادت المدينة الى ما كانت عليهِ من الحركة قبل فصل الصيف

وكانت عائلة القنصل ب. رجعت الى بيروت فين رجع فحلّت في دار القنصليّة عند رأس المدينة وهو منزل رَحبٌ كثير الثروة تحدق بهِ حديقة غنّاء ذات زهور واشجار باسقة

وكان هذا البيت عادةً ذا هدوّ يرتاح فيهِ اصحابهُ الى السكينة بيد انّك منذ بضعة

أيام كنت ترى فيه حركة غير مألوفة. وما ذاك الا لإعداد رتبة الزيجة المنوية

ولا غرو انَّ الاختين كانتا اوّل من نشط للعمل وعُني بتجهيز لوازم هذه الحفلة. الّا انّ وردة كانت اقلّ اهتمامًا في الامر من اختها. فلا تزال على طبعها فكهةً دَعِبة لا يكدّر صفاء قلبها قلق كأنّ الامر لا يهمّها بل يعني غيرها بينما كانت سوسنّة تزيد رصانةً وتصوّنًا

هذا ولا يخالجنَّ فكر احد ان خفّة الطباع كانت غالبةً على وردة تسير الى الزواج وهي لا تدري بما ستتكلّف فيه من العناء. وبالحري انّما كانت أعلم ممّن سواها انّ تحت الزهر شوكًا لا يُقاسي ألمهُ الّا من كان قويّ النفس ذا حزم وجدّ. وعليه فكانت الفتاة كثيرًا ما تختلي وحدها في غرفتها لتعدّ ذاتها لهذا الاقتران طالبةً من الله ان يزين قلبها بما يقتضيه سرّ الزواج من الصفات والفضائل ويجعل هذا المشروع ميمون الطالع سعيدًا موافقًا لارادته عزّ وجلّ

وكانت امّ وردة قد استدلّت في مدّة الشهرين الاخيرين بمجرّد النظر الى ابنتها على ما يخامر قلبها من الافكار الخطيرة فانتهزت هذه الفرصة لتمهّد لها تلك الطريق الوعرة وترشدها في سواء السبيل

امّا سوسنّة فكان حدث في نفسها في المدّة الاخيرة تغيير يُذكر. وذلك انها كانت في بادئ الامر تلقّت خبر خطبة اختها بفرح عظيم. ولكن لم تمرّ عليها ايام قلائل حتى غشي قلبها بعض الحزن لم يمكنها ان تستره عن اعين اختها. فلحظت منها ذلك وردة وجعلت تسعى في ازالة كربها ببشاشة وجهها وفكاهة طباعها. فلم يُجدِها فعلها نفعًا. ومذ ذاك الحين لم يَعُد هذا القلبان على ما ألفاه من الوداد والمخالصة (ستأتي البقية)

شتّى

آثار بيروت القديمة

قد اخبرنا سابقًا (ص ٩٢) ما اكتشفهُ الدكتور جول روفيه احد اساتذة مكتبنا الطبّي من الآثار القديمة في جنوبي بيروت بين وادي الشويفات ونهر الغدير. والآن علمنا بمزيد السرور انّ العلّامة المذكور لا يزال مواصلًا لأبحاثه الخطيرة والنجاح موفّق لمساعيه الطبّية. وقد اكتشف عاديّات كثيرة يرتقي عهدها الى القرني الخامس والسادس للمسيح لمّا

كانت المدينة في اوج مجدها. وكان لهذه الاكتشافات احسن وقع لدى المستشرقين واطنبت في ذكرها المجلات الكبرى العلميَّة (١. وذكرت جريدة استانبول انَّ سفارة فرنسة في الاستانة طلبت من الحكومة السنيَّة الترخيص للدكتور الموما اليه بحفر الاراضي في ضواحي البلدة. ولنا الرجاء ان سينال عمَّا قليل الرخصة المطلوبة

الجروج والجروخ

قد كنَّا ذيَّلنا تاريخ بيروت في الصفحة ٢٧٨ بحاشية قلنا فيها: انَّ لفظة « جروخ » وردت في الاصل الذي اخذنا عنهُ على ثلاث صور مختلفة فاثبتناها على صورة واحدة. لكنَّنا ارتأينا في ذيل الكتاب انَّهُ لا يبعد من الصواب ان يكون المؤلف اراد « الجروج » تعريب ما يدعوهُ الفرنج (feu grégeois) وهي أدوات حربية من النفط يُرمى بها العدوّ

الّا ان حضرة الاب انستاس ماري الكرملي نبَّه فكرنا الى معنى « جروخ » بالفارسيَّة وقولهُ هذا اقرب الى الصواب نذكرهُ للفائدة:

فالجُروخ جمع جَرْخ. معرَّب كلمة « چرخ » الفارسية وقد استعملها الترك ايضاً باللفظ الفارسيّ اي بالجيم الفارسية واخذها العرب عن الترك وعرّبوها بالجيم العربية في القرون الوسطى وهي كلمة تأتي بمعاني شتَّى والاصل فيها: « الدَوْرة والاستدارة والدائرة والدولاب »

١) ومن جملة ما قرأنا في ذلك نبذةً ممضاة باسم حضرة الاب شبلي المارونيّ كتبها في مجلَّة الدروس الكتابيَّة (Revue Biblique, 1er Avril 1898,) يصف فيها هذه الاكتشافات الجليلة. الَّا إنَّهُ ساءنا ما كتبهُ حضرتهُ في ذيل الصفحة ٢٧٦ قائلاً: « Détail piquant : toutes les pierres qui ont servi à la construction de l'Université des PP. Jésuites ont été prises là. Je ne sais comment l'attention des Pères ne fut pas éveillée. »

فاشار الكاتب بذلك قلَّة اكتراث اليسوعيين بالآثار القديمة

وعليهِ فنقول (اوَّلًا) أنَّهُ ليس بصواب انَّ كلَّ حجارة كليَّتنا أُخذت من المكان المعروف بالقصر بجوار نهر الندير. وقد أُخذ الجانب الاكبر من حجارة الكليَّة من عدَّة مواقع اخر كالجناح والرَّمل والاوزاعي ومار الياس. يشهد بذلك من تولَّى عمارة المدرسة من البنَّائين وغيرهم. ثانيًا ولو سلَّمنا ان كلَّ حجارة الكليَّة أُخذت من القصر بين نهر الندير ووادي الشويفات فمعلوم انَّ هذا المحل واسع يمكن قلع حجارتهِ من بعض جوانبهِ دون البعض وليست الآثار القديمة في كلّ انحائهِ فكيف يستغرب حضرة الكاتب أنَّا لم نكتشف هذه العاديَّات قبل جناب الدكتور روفيه. ثالثًا أيجهل صاحب المقالة انَّ من يبتني دارًا لا يتولَّى بذاتهِ قلع حجارتها بل يعهد الامر الى غيرهِ من الوكلاء اصحاب الصنعة. فاين يا تُرى العجب من كون اليسوعيين لم يقفوا على هذه الآثار الجليلة لينبئوا عنها العلماء

او ما كان بمعانيها ثم أُطلِقت اللفظة على كل آلةٍ تتحرّك حركةً مستديرةً او بها دولاب ثمّ تُوسِّع فيها حتى أُطلِقت على « كل آلةٍ » . وفي القرون الوسطى كانت تُطلق على أداةٍ من أدواتِ الحرب تُرمَى عنها السِهام والحجارة يقابلها بالفرنسية لفظة (Pierrier) . ومن معانيها التي استعملت في تلك القرون وبقيت الى يومنا هذا : « نوعٌ من القذائف النارية او الحراريق كان يُرمَى بها العدوّ وكانت تدور في حركتها قبل وصولها الى مَرْماها وهي التي كانت تُسمّى يومئذٍ بالفرنسية Roquette, rochette ou raquette, fusée de guerre, fusée tournante.) فنظنُّ انها بهذا المعنى الاخير قد وردت في كلام ابن صالح

كتب شرقية جديدة

Manuscrits turcs de l'Institut des Langues Orientales.
décrits par W. D. Smirnow, professeur de Turc à l'Université de St-Pétersbourg. pp. 216, in-8. Eggers. 1897.

فهرست الكتب التركيّة الخطيّة المحفوظة في مكتبة الجمعية الشرقيّة في بطرسبرغ

قد اهدتنا هذا الكتاب المفيد جمعيّة اللغات الشرقية الروسية وهو المجلّد الثامن من المجموعات التي لا تزال تنشرها منذ سنة ١٨٧٧ . وغاية المؤلف في وضعهِ بيان الكتب الخطّية التركية الموجودة في مكتبة الجمعية المذكورة وصف منها ثمانية وتسعين كتابًا خطيًّا كُتب ربعها باللغتين الجاغاتيّة والكشكريّة . ومواد هذه الكتب في مواضيع شتّى يغلب عليها التآليف التاريخية والادبية . واقدمها عهدًا لا يرتقي الى ما فوق القرن الخامس عشر وقد نُقل اكثرها من التصانيف العربية والفارسية . الّا انّها لا تخلو من عدّة فوائد لمعرفة آداب اللغة التركية وتواريخ ملوكها . وقد بذل المؤلف في وصفهِ لهذه المخطوطات غاية الجهد لم يدع فائدةً من شأنها ان تبيّن خواصّها وشفع الكتاب بقائمة اسماء التآليف الموصوفة وبيان اسماء المؤلفين وختمهُ برسوم تمثّل خمسةً من خطوط الكتب المومأ اليها . ولغة الكتاب الفرنسيةُ قدّمهُ المؤلف لمؤتمر المستشرقين في باريس في السنة المنصرمة الاب س . روتزفال

La Concélébration Liturgique, *par le R. P. Dom J. Parisot O. S. B.*

تقديس الكهنة معًا

هي مقالة جزيلة الافادة كتبها حضرة الاب باريزو تريل كليتنا في العام الماضي فاهدانا منها نسخة . وغاية هذه الطُرفة المستملحة أن يبيّن الكاتب الفاضل معنى هذا الطقس وتاريخ هذه العادة الجارية الى عهدنا بين بعض الطوائف الشرقية . فاتى بعدّة شواهد قد يُستدلّ بها على قدم هذا الطقس في كلتا الكنيستين الغربية والشرقية . واظهر

انهُ بقي في الغرب الى القرن الرابع عشر . ولم يزل لهُ اثرٌ عند الغربيين الى زماننا يوم سيامة الاساقفة الجدد ويوم ترقية الشمامسة الى رتبة الكهنوت . امَّا في الشرق فالملكيون والروم واليعاقبة يلازمون بعدُ لهذا الطقس القديم . وقد استثنى منهم سهوًا حضرة الكاتب الموارنة (١٧) لاننا نراهم الى يومنا يقدسون معًا على مذبح واحد . فنثني على حضرة الاب باريزو ونتمنى ان مقالتهُ هذه تنشط اكليروس الشرق للبحث في عوائدهم الكنسية ل . ش .

اسئلة واجوبة

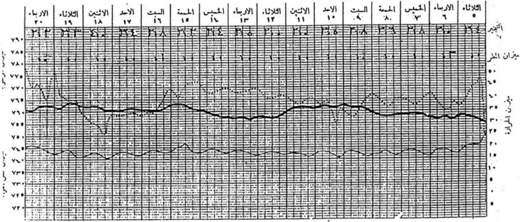
س سألنا بعض فضلاء المنية عن المسافة المقرَّرة لبعد الشمس عن الكرة الارضيَّة وقال انهُ وجد اختلافًا بين ما ورد في كتاب مختصر الجغرافية للاب ابوجي اليسوعي (ص ٧) وبين ما ورد في حاشية صفحة ٢٦٦ من المشرق

ج نقول ان مسافة الشمس عن الارض تختلف على اختلاف فصول السنة لانَّ الشمس اقرب الى الارض في كانون منها في تموز فبعدُها في غرَّة كانون الثاني ١٤٥٧٠٠٠٠٠ كيلومتر بينما تبلغ هذه المسافة في اول تموز الى ١٥١٨٠٠٠٠٠ . امَّا الفرق بين ما رواهُ الاب ابوجي وما ذُكر في المجلَّة فهو مسبَّب من سوء فهم كلمة «الميل» ولها عدَّة معانٍ توسَّع فيها الكتَّاب . والمراد بها في المجلَّة مسافة نحو اربعة كيلومترات فهي مرادفة للفظة (licue) لا للفظة (kilomètre) . فاذا رُوعي ذلك لا يكون بين الحسابين فرق يُذكَر

س ومنها ايضًا : سألنا الخواجا واصف قرقار ما السبب لاتجاه الابرة المغناطيسية الى الشمال

ج نقول انَّ اول من اجاب على هذا السؤال العلاَّمة جِلبرت الطبيب الإنكليزي سنة ١٦٠٠ فانهُ اعتبر الكرة الارضية كمغناطيس عظيم موقع قطبَيهِ عند القطبَين الفلكيَّين وجعل خطَّهُ المتوسط المدعو ايضًا خطَّ المغناطيس المتساوي مجاورًا لخطّ الاستواء . وعليهِ فان اخذنا مغناطيسًا ووضعناهُ على محور مع اطلاق الحركة للمغناطيس يتيسَّر لنا ان ندرك كيف مغناطيس الارض يجذب اليهِ هذا المغناطيس الثاني فيتوجَّه قطباه الشمالي والجنوبي نحو قطبي الارض . ولما كان عند الطبيعيين كمبدإ راهن ان قطب المغناطيس الايجابي يجذب اليهِ القطبَ السلبيَّ ويجذب السلبيُّ الايجابيَّ ينتج من ذلك انَّ قطب المغناطيس الجنوبيَّ يتوجَّه الى الشمال وقطبهُ الشماليَّ يتوجَّه الى الجنوب . ويمكن اختبار ذلك فعلًا بابرة ممغنطة تدور فوق مغناطيس ثابت فترى القطوب المتباينة تتجاذب والمتلائمة تتنافى غ . زموفن

قائمة للآثار الجوية من ٥ الى ٢٠ نيسان ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات